بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 12 نوفمبر 2018

# الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ وعولمة العنف المقدّس

محمّد سويلمي
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2018
All rights reserved © 2018

# الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ
# وعولمة العنف المقدّس[1]

1. نشر في كتاب «الجهاد» منشورات مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث سنة 2018، إشراف بسام الجمل، تقديم أنس الطريقي.

## الملخّص التنفيذيّ

يعالج هذا البحث الظاهرة الجهاديّة في الفضاء الإلكترونيّ من حيث خطاباتها ومفاعيلها في الجمهور المؤمن من المسلمين في ارتباطها بالسوق الدينيّة المعاصرة المحكومة بالعولمة قوّةً موجِّهة وإطاراً حاضناً. فهجرة الخطاب الجهاديّ إلى العالم الافتراضيّ كانت موصولة بسياقات اجتماعيّة وسياسيّة وتقنيّة مكّنت جملة من الفاعلين السياسيّين في سياقات محلّيّة وعالميّة من استثمار هذه الوسائط الاتّصاليّة والأنظمة السيميائيّة في تسويق أيديولوجيا جهاديّة منتِجة للعنف والإقصاء بمسوّغات دينيّة بعيداً عن كلّ أشكال الرقابة. لذا عملنا على تتبّع هذا الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ في عالم الإنترنت، واشتغلنا على جملة من المواقع الإلكترونيّة التي تمثّل حشداً من التنظيمات والجماعات ومنظّري الجهاديّة المعاصرة، حتّى نتفهّم طبيعة المادّة الجهاديّة وخصوصيّات هذا الضرب من الخطاب وطرائقه في التسويق. لقد كان الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ ظاهرة مستجدّة في وسائطها الاتّصاليّة الناجعة وجمهورها المتنوّع في محاضنه الثقافيّة وبيئاته السياسيّة، ولكن بمضامين تقليديّة تستثمر الموروث الدينيّ والتاريخيّ على تنوّعه وتعيد قراءته وإنتاجه لتفعيله في تبرير العنف السياسيّ وشرعنته، وبلوغ حلم الأمّة المتخيَّلة.

## مقدّمة

يُعدّ مفهوم الجهاد على تلوّن أبعاده الروحيّة والفقهيّة والسياسيّة وتنوّع رؤى المعالجة على امتداد الأطوار التاريخيّة للثقافة الإسلاميّة أكثر المفاهيم تداولاً ورسوخاً في الإسلام العالِم والمخيال الشعبيّ معاً[1]. فقد واكب مفهوم الجهاد نشأة الجماعة المسلمة وعايش كلّ تقلّباتها وتماهى مع مختلف السياقات السياسيّة والاجتماعيّة التي احتضنت المؤمنين، وكأنَّ المغانم المتأتّية من مفهوم الجهاد جعلته حيّاً مفعماً بالمعنى تعتوره كلّ النخب الدينيّة والسياسيّة وتفعّله لسدّ احتياجات مجتمعيّة وتتعهّده بالصيانة وإعادة الاستنطاق والتكييف السياقيّ. لكنّ الطور الحديث شهد انبعاثاً مخصوصاً لمفهوم الجهاد لا يقطع مع موارده النصّيّة والفقهيّة التراثيّة، بل يدمجه في رهانات أيديولوجيّة مستجدّة تجمع السياسيّ والثقافيّ في آن معاً، وكأنَّه مفهوم مرن ومتقلّب يُعاد إنتاجه وتنزيله في ديمومة تأويليّة تثبت محوريّة المفهوم ومخاطر القراءات الأصوليّة والسياسيّة التي احتكرت سلطة التأويل والتوظيف من المودوديّ وقطب إلى عبد السلام فرج وعبد الله عزّام[2]. وهذا جعل الخطاب الدينيّ المعاصر ينشغل بالجهاد ويعيد إحياءه جاعلاً إيّاه نظيراً لمفهوم الهويّة وسبيلاً إلى بناء الأمّة واسترداد الماضي المثاليّ[3].

لكنّ مفهوم الجهاد لم يبقَ حبيس المؤسّسة الدينيّة الرسميّة التي احتكرت السيادة عليه تأويلاً وتشريعاً وتوظيفاً فحسب، وإنَّما برز في المشهد الإسلاميّ فاعلون اجتماعيّون جدد يمتلكون وعياً حاسماً بمكانة مفهوم الجهاد وطاقاته الأيديولوجيّة ومغانمه التداوليّة في المسرح السياسيّ المعاصر. ونشأت تبعاً لذلك منظورات ومناويل جديدة اتّخذت من الجهاد مفهوماً مشحوناً بالرمزيّة وأداة عمليّة قادرة على تحقيق تطلّعات وانتظارات اجتماعيّة وسياسيّة، كما هو الحال في أدبيّات الإسلام السياسيّ بشقّيه الحركيّ والجهاديّ، فتشكّلت حزم مفهوميّة طارئة كالحاكميّة والجاهليّة وتوسّع الكون الدلاليّ لمصطلح الجهاد ووقع إغناؤه بتفاصيل استوجبتها طبيعة الرهانات السياسيّة كالعدوّ القريب والعدوّ البعيد، ليتحوّل الجهاد من حدث محليّ إلى نشاط عالميّ عابر للوطنيّة Transnationalism، و«لم تعد القواعد القديمة تُطبّق أو تهمّ المجاهدين الجدد الذين يعتبرون أنفسهم طليعة الأمّة وليس مجرّد مواطنين من دول منفصلة»[4]. وأيّاً تكن العوامل التي أنتجت هذا النزوع

1. Cook, David, Understanding Jihad, UCP, London, England, 2005, p-p 6-33.

2. Ibid, p-p 100-130.

3. Castells, Manuel, the Power of Identity, Wiley-Blackwell, U.S.A, 2010, p 15.

4. Gerges, Fawaz, the Far Enemy: Why Jihad Went Global, CUP, U.K-U.S.A, 2008, p 63.

العالميّ للجهاد فقد تحوّل إلى نشاط شبكيّ منزوع السياقات المجاليّة والثقافيّة لا يوحّده غير متخيّل سياسيّ طامح إلى استنشاء أمّة افتراضيّة Virtual Community «تتوافق مع الأمّة الأسطوريّة السلفيّة»[5].

إنَّ تنظيمات الإسلام السياسيّ ليست إلّا حركات اجتماعيّة جديدة تبحث عن تموقعات بنيويّة وتسعى إلى الاستئثار بقسط وافر من المغانم السياسيّة، فعليها أن تنصهر في تحوّلات المجتمعات المعاصرة، وخاصّة تكنولوجيا الاتّصالات والمعلومات TCI التي عصفت بالمنوال المجتمعيّ التقليديّ في مؤسّساته وأدواره وبعثرت حشداً من المفاهيم الراسخة كالهويّة والخصوصيّة والمكانيّة والزمنيّة والطائفة والأمّة. و«بما أنَّ المعلومات والاتّصالات هما أهمّ أبعاد النشاط والتنظيم البشريّين، فإنَّ التغيير الثوريّ في الظروف الماديّة لأدائهما يؤثّر في عالم النشاط البشريّ بأكمله»[6]. لذا كان الدين الإلكترونيّ Religion Online أكثر الأنشطة تداولاً في العالم السيبرنطيقي لما للإنترنت من خصائص تقنيّة ومعلوماتيّة وثقافيّة تسمح للدينيّ باغتنام منتجات العولمة والانغراس في بنيتها السلسة، فتحوّلت الإنترنت إلى مسرح صراع أيديولوجيّ تُوظَّف فيه شتّى الأنظمة السيميائيّة والعتاد السيبرنطيقي والموارد الرمزيّة، بما خلق تضافراً عجيباً بين التكنولوجيا والأيديولوجيا جسّدته الجهاديّة المسلّحة بشبكاتها المحليّة والعالميّة التي كشفت عن «الطريقة التي شُكّلت بها تكنولوجيا الإنترنت لتواكب احتياجات الجماعات الدينيّة المختلفة»، وكأنّها «مؤشّر على الكيفيّة التي هَذّبت بها الثقافة التكنولوجيا لتعيش فيها ويحيا بها الأعوان الذين يستخدمونها»[7].

وقد كان مصطلح الجهاد الإلكترونيّ Jihad Online على صلة ببزوغ المجتمع الشبكيّ في بداية السبعينات وعلامة على تحوّل جوهريّ مسّ بنية الدينيّ نفسه وأدوات اشتغاله في العالمين الواقعيّ والافتراضيّ وخاصّة بعد أحداث سبتمبر/ أيلول 2001، فصار من الممكن بناء حسّ دينيّ مشترك وهويّة متخيّلة ودمج الشتات المسلم في سرديّات المظالم التي تخلق دافعيّة روحيّة وعمليّة للانخراط في أنشطة عنفيّة يحتضنها مفهوم الجهاد الإلكترونيّ برصيده الفقهيّ والرمزيّ وأدواته التقنيّة، بما يعكس أهميّة الاتّصال المعولَم الذي وفّر «الطريقة التي تتشكّل بها الهويّات وكيف يأتي الناس لتبادل قضيّة سياسيّة والاحتشاد حولها وكيف يمكن للعمل السياسيّ أن يتحوّل إلى العنف أيضاً»[8]. لهذا فالجهاد الإلكترونيّ وجه من وجوه عولمة الدينيّ ونشأة البيئات السيبرانيّة الإسلاميّة التي استأنفت منظوراً أرثوذكسيّاً تقليديّاً يشرّع للعنف وإقصاء الآخر ويستثمر الهموم الجمعيّة للمسلمين وإخفاقات التحديث وآثار العولمة على مشاريع الدولة الوطنيّة، وكأنّما «هذه

5. Frazer, Egerton, Jihad in the West: the Rise of Militant Salafism, CUP, U.K-U.S.A, 2011, p 88.

6Castells, Manuel, the Network Society, Edward Elgar Publishing, U.SA, 2004, p 9.

7. El-Nawawy, Mohammed and Khamis Sahar, Islam Dot Com, Palgrave Macmillan, U.S.A, 2009, p 61.

8. Archetti, Cristina, Understanding Terrorism in the Age of Global Media, Palgrave Macmillan, New York, U.S.A, 2013, p 33.

الهجرة الافتراضيّة قد فتحت سبلاً لا نهائيّة لعرض السرديّات الجهاديّة السلفيّة»، وأبانت «أنَّ المسلّحين يملكون الآليّات لإتقان عرض هذه السرديّات»[9].

## 1ـ مهادات تأسيسيّة

لقد ساد وهم فكريّ وسياسيّ بأنَّ عمليّات العلمنة التي صبغت الطور الإنسانيّ الحديث وحرّرت البشر من المتعالي وأسّست تفكيراً عقلانيّاً حرّاً، وخلقت مجالاً عموميّاً للعيش المشترك قد دحرت الدينيّ وسلبته السيادة وأضعفت من حضوره في المعيشين الفرديّ والجمعيّ. لكنَّ انبعاث الأصوليّات المعاصرة على اختلافها وتقاطعها قد شكّك بعمق في منتجات الحداثة ومفاعيلها، وأكّد أنَّ الأفراد والجماعات يعيشون احتياجاً أبديّاً إلى الدينيّ وفاقة متعاظمة إلى الإشباع النفسيّ والروحيّ والثقافيّ، خاصّة في زمن تداخل العلامات وهشاشة المؤسّسات وفي عالم معولم ومضغوط بالمعلومات والرمزيّات تتأجّج فيه توتّرات جمّة محورها المعنى والهويّة والسلطة. فنحن «نحيا في زمن التصدّعات وعدم التجانس، زمن التجزّؤ داخل كلّ أمّة، زمن الاتّصالات الهلاميّة مع أنظمة عبر وطنيّة للمعلومات والنمط والمعرفة»[10]. وقد ترافقت فورة الدينيّ مع العولمة الجديدة التي انطلقت في سبعينيّات القرن الماضي بما سُمّي ثورة وادي السليكون التي أحدثت تحوّلات ثلاثة في بنية العالم: عولمة الأنشطة الاقتصاديّة ورقمنتها، ثمّ إنشاء بنية اتّصاليّة ومعلوماتيّة متشابكة ومرِنة، ثمّ «النشر العالميّ للأشكال والمعاني الثقافيّة»[11]. وهذا جعل البنية الاتّصاليّة بوسائطها الرقميّة الفائقة والمتعدّدة والمندمجة في الوقت نفسه تتحوّل إلى بيئة تمكين واحتضان تثبت أنَّ الموجة الدينيّة تموقعت في صميم العولمة ما دام الدينيّ قادراً على التكيّف واشتراطات السوق الجديدة وإعادة مأسسة خطابه في فضاء إلكترونيّ مستجدّ واستدماج أدواته المقدّسة في أنظمة التبادل الرقميّ ونقل العنف السياسيّ إلى البيئة الافتراضيّة بسلاسة ومهارة.

### 1- 1- العولمة وبزوغ المجتمع الشبكيّ

قد تحجب بداهة بعض المفاهيم وشيوع تداولها حقيقتها وأبعادها ومفاعيلها على غرار مفهوم العولمة الذي ذاع استخدامه في كلّ حقول المعرفة والمجتمع باستخفاف اصطلاحيّ في كثير من الأحايين، ولكنَّ

9. Magnus, Ranstorp, The Virtual Sanctuary of Al-qaeda and Terrorism in The Age of Globalization, in, Eriksson, Johan and Giacomello, Giampiero, International Relations and Security in the Digital Age, Routledge, New York, 2007, p 31.

10. Tubella, Imma, Television, the Internet, and the Construction of Community, in, Castells, Manuel, the Network Society, p 387.

11. Ibid, p 385.

ذلك لا يطمس حقيقة إجرائيّة أكيدة: العولمة ظاهرة معقّدة ومتعدّدة الأبعاد والمقاربات التي اشتغلت عليها والمفاهيم السجاليّة التي آلت إليها[12]. وينظر غيدّنز Giddens إلى العولمة مهما تكن بيئة أو ظرفاً أو أثراً على أنَّها «حشد من العمليّات التي تنطوي على زيادة في السيولة وتعاظم التدفّقات متعدّدة الاتّجاهات من البشر والأشياء والأماكن والمعلومات فضلاً عن البنى التي تواجهها وتخلقها، والتي تشكّل حواجز في وجه هذه التدفّقات أو تسرّعها»[13]. فهي بهذا المعنى سياق عالميّ تتماسّ فيه المجتمعات والمجالات والاقتصادات والثقافات في أدفاق من التبادلات المادّيّة والرمزيّة في شبكات لا مركزيّة. وهذا لا يجعل العولمة ظاهرة مفردة وبسيطة، بل على النقيض من ذلك ظاهرة مركّبة وتفاعليّة تجمع «صفات متعدّدة وعمليّات اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة متباينة ومتعدّدة»، وكأنّنا «نتكلّم عن العولمة في صيغة الجمع أو العولمة باعتبارها متعدّدة الأبعاد»[14]. لذا يمكن مقاربة العولمة على أنَّها مسارات متضافرة: اقتصاديّة تجمع التدفّقات الماليّة والشركات عبر الوطنيّة، وسياسيّة تتّصل بصناعة القرار الدوليّ والهيمنة العسكريّة، واجتماعيّة تهمّ انحسار المؤسّسات التقليديّة ونشوء الحركات الاجتماعيّة الجديدة، وتقنيّة تتعلّق بتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، وثقافيّة تخصّ الهويّات والأنظمة الرمزيّة[15].

وكان لموجة العولمة المعاصرة في السبعينيّات أثرها الهائل الذي عصف بالمناويل المحلّيّة والعالميّة واستقرار المؤسّسات التقليديّة وسكينة الأنساق الثقافيّة الراسخة بما خلق أزمة في الهويّات وأنظمة المعنى والأكوان الرمزيّة التي ألفت نفسها في ديناميكيّات متسارعة وتيّارات متقاطعة ولّدت حركات اجتماعيّة جديدة NSMs استفادت من خلخلة المواضعات السياسيّة والثقافيّة القديمة التي عزّزت أشكال الانخراط في المجال العموميّ، فالحركات الاجتماعيّة الجديدة ـ والجهاديّة المسلّحة واحدة من صورها ـ ما هي إلّا «منتوجات ما بعد التصنيع ونشوء شكل جديد من سياسات ما بعد المادّيّة» فضلاً عن كونها «شكلاً من السياسة المضادّة للسياسة»[16]. لذلك يكون الرمزيّ الثقافيّ مادّة خطابها ورهان صراعها وأسّ انتظام أفرادها وأنصارها الذين يجتمعون في مشروع أيديولوجيّ تؤثّثه موارد رمزيّة ودوالّ ثقافيّة مفعَمة بجاذبيّة المعنى وعموميّته، وكأنَّما «الحركات الاجتماعيّة عبارة عن شبكات من التفاعلات غير الرسميّة بين عدد وافر من الأفراد والجماعات و/أو المنظّمات التي تتساهم صراعاً سياسيّاً أو ثقافيّاً أساسه هويّة جمعيّة مشتركة»[17].

12. Dean, Paul and Ritzer, George, Globalization, in, the Wiley-Blackwell Companion to Sociology, Wiley-Blackwell, U.K-U.S.A, 2012, p 559.

13. Ibid, p 545.

14. Ibid, p 546.

15. Dean and Ritzer, Globalization p 551.

16. Vertigans, Steven, Militant Islam, Routledge, U.S.A-Canada, 2009, p-p 37-38.

17. Ibid, p 40.

ولم تكن التنظيمات الجهاديّة المعاصرة سوى حركات اجتماعيّة جديدة حاملة لمشروع سياسيّ وأيديولوجيا راديكاليّة عنيفة تنطوي على حشود من الموارد الرمزيّة الحيّة في الذاكرة والراسخة في الضمير والوجدان كالجهاد والاستشهاد والفتوحات والبطولات ووهج التجربة النبويّة ومناقب السلف الأوّل، ولكن في سياق معاصر ضبطت العولمة ترتيباته وقنواته خاصّة فيما يتعلّق بالهويّة الدينيّة والمنظومة الثقافيّة المثاليّة ونقاء الأمّة المتخيّلة. فالحركات الجهاديّة المسلّحة «منتظمة بفضل شبكة من التفاعلات بين أغلب الناشطين والتنظيمات المنخرطة في صراعات سياسيّة وثقافيّة على حدّ سواء أساسها الهويّات الإسلاميّة الراديكاليّة»، بما يجعل «هذه الجماعات تنخرط في أعمال رمزيّة مباشرة مرتبطة بأيديولوجيا دينيّة قويّة ومتبنّاة»[18]. فالعولمة بهذا المعنى إطار محفّز وبيئة مولّدة لحركات اجتماعيّة وسياسيّة تتوسّل بالعنف والسرديّات الثقافيّة ذات الأثر النفسيّ والمعرفيّ العميق لمقارعة مظالم هذا النظام العالميّ الجديد أو ما سمّاها م. كاستلّز M. Castells «مجموعة كلّيّة من الحركات الارتكاسيّة التي أنشأت خنادق للمقاومة باسم الإله والأمّة والإثنيّة والعائلة والمحلّيّة»[19]. وليست الجهاديّة العالميّة بشبكاتها مترامية الأطراف في شتّى المجالات والتجمّعات إلّا تعبيراً عن أيديولوجيا الممانعة العنيفة ومواجهة العولمة مجسّدة في سياسات العدوّ البعيد الذي يعاضد الأنظمة الوطنيّة الحاكمة بوصفها العدوّ القريب، أي تحطيم الهويّة المشروعة باعتبارها هويّة رسميّة مؤسّسيّة بالانخراط في هويّة مقاوِمة «ضدّ ظلم لا يُحتمل» ومشكَّلة «بوضوح وجلاء من التاريخ والجغرافيا والبيولوجيا بما يجعلها تؤسّس حدود هذه المقاومة»[20].

لقد وفّرت العولمة بما أحدثته من تصدّعات مؤسّسيّة وفوضى بنيويّة واختلالات عميقة في المعاني الثقافيّة بيئة للاستثمار الأيديولوجيّ وحافزاً على اصطناع عدوّ مادّيّ ورمزيّ يكفل انتظام الجماعات الجهاديّة داخليّاً على تباينها وتوحيدها في سرديّات جهاديّة مشترطة طالما كان السياق العولميّ مماثلاً في المظالم والمساوئ والمفارقات بما يجعل الجهاديّة المعاصرة حركة اجتماعيّة وسياسيّة شأنها شأن الحركات الأخرى المقاومة والممانعة، ولا فرق إلّا في انتهاج العنف وتطويع المقدّس تبريراً وتشريعاً للنهج الراديكاليّ المتطرّف، فالتنظيمات الجهاديّة تعمل على «تأطير الاحتجاج والعمل الجماعيّ في مصطلحات دينيّة قويّة والإذعان لسلطة عليا والاستفادة من الأفكار ذات الأهمّيّة الكبيرة ثقافيّاً»، وهذا «جزء لا يتجزّأ من الحرب المقدّسة لإضفاء شرعيّة أقوى على أعمال العنف المرتكبة»[21]. لذا تحوّلت العولمة إلى بيئة تحفيز للجهاديّة المعاصرة في ترويجها لثقافة العنف وخلق تواصليّة موهومة بين التجمّعات الإسلاميّة وصهرها في رحم

18. Ibid.

19. Castells, Manual, the Power, p 6.

20. Ibid, p 9.

21. Vertignas, p 43.

الأمّة الأسطوريّة وتدويل الأزمات المحلّيّة باجتثاثها من سياقاتها الخاصّة، وليس أدلّ على ذلك من الخليّة الجهاديّة الهولنديّة هوفستاد Hofstad التي اغتالت المخرج فان غوخ Van Gogh بتبريرات دينيّة أثبتت دور صور القتلى والمهجّرين في العراق وفلسطين وكشمير بوصفها سرديّات راديكاليّة في خلق متخيّل جهاديّ عالميّ أساسه المظالم التي تكابدها أمّة المسلمين في مجالات عدّة. وهي أمّة عالميّة لا وجود لها إلّا في المتخيَّل السياسيّ، أمّة تمكّنهم من «إعادة تصوّر أنفسهم جزءاً من جمعيّة أكبر بكثير ويواجهون المشاكل نفسها وللأسباب نفسها»[22].

لكنَّ العولمة التي كانت عاملاً محفّزاً على تصاعد العنف الجهاديّ وتواتره كانت هي أيضاً بيئة حاضنة لهذه الأنشطة المسلّحة من الدعاية والتجنيد والتجييش والترويج لأيديولوجيا المواجهات القتاليّة، فقد خلقت شبكة من التبادلات وبنية اتّصاليّة مرنة وحينيّة وتتّسم بالتخفّي والتدفّق العالي وسرعة النفاذ في تناغم مع حركة الأشخاص والبضائع والتقنيات. وهو ما أدمج المحليّ في العالميّ بصورة مكثّفة ومشوّهة أحياناً، ذلك «أنَّ الإرهاب المحلّيّ ينحو إلى العولمة تماماً كما يفعل العالم» عولمة «لا تسمح بحركة الأشخاص فقط بل تسمح أيضاً بانتشار التكنولوجيّات التي من المحتمل أن تكون مدمّرة على المستوى العالميّ»[23]. إلى ذلك فالأصوليّات الإسلاميّة التي تحصّنت بمفاهيم العصر الذهبي ونهج السلف والأمّة الواحدة وكمال الشريعة والهويّة النقيّة غارقة في العولمة بمنتجاتها ومفاهيمها وترتيباتها، فهي بأدبيّاتها وسرديّاتها توهم بانغرازها في الأصول ووفائها لروح الماضي والسعي إلى إحيائه، لكنَّها في الحقيقة متشبّعة بروح العولمة في أشكالها التنظيميّة وأدواتها الخطابيّة وطرائقها العمليّة واستثمارها للسياقات الاجتماعيّة والثقافيّة الراهنة في توجيه جمهورها وتحشيدهم. وهذا ما مكّن الخطاب الجهادي من أن يعيد إنتاج ذاته وينخرط في تأسيس جديد لآلياته واستراتيجيّاته ومفاهيمه مستأنساً بمنتجات العولمة وما أتاحته من خيارات واسعة وناجعة، وكأنَّما «الأصوليّة الإسلاميّة ليست حركة تقليديّة، فرغم جهود التميّز بالتجذّر في الهويّة الإسلاميّة في التاريخ وفي النصوص المقدّسة، فالإسلامويّون يباشرون من أجل مقاومة اجتماعيّة وعصيان سياسيّ بإعادة بناء هويّة ثقافيّة هي في الواقع مفرطة الحداثة»[24].

إنَّ الأثر المباشر والعميق للعولمة المعاصرة كان في دكّ الحصون الجغرافيّة والمجاليّة وبعثرة الأنساق الثقافيّة المغلقة والصلبة وإعادة بناء الجماعات والتفاعلات والأدوار والهويّات الاجتماعيّة، بما أدمج المحلّيّات على تنوّعها وتباينها في بيئة عالميّة مضغوطة بإيقاع متسارع وموحّدة في شبكة كثيفة ومتقاطعة.

22. Egerton, Jihad, p-p 82-83.

23. Vertigans, Ibid, p 54.

24. Castells, the Power, p 17.

فنشأت أنماط مستجدّة من التبادلات الاقتصاديّة والثقافيّة تحتضنها بنية اتّصاليّة ومعلوماتيّة تزداد اتّساعاً وتشابكاً، ممّا خلق ما يسمّى المجتمع الشبكيّ Network Society الذي «تتكوّن بنيته الاجتماعيّة من الشبكات التي تعمل بتكنولوجيّات المعلومات والاتّصال القائمة على الإلكترونيّات الدقيقة»[25]. وتسمح هذه الشبكات الاقتصاديّة والثقافيّة والإلكترونيّة والاتّصاليّة بزيادة التدفّقات وتجسير المسافات وإزاحة الحواجز وإدماج البشر في كلّ متحرّك ومتسارع ومضغوط، لأنَّها تتّسم بسمات ثلاث هي: المرونة التي تسمح بإعادة «التشكّل حسب البيئات المتغيّرة مع الحفاظ على أهدافها أثناء تغيير مكوّناتها»، وقابليّة التوسّع التي تسمح «للشبكات أن توسّع في الحجم أو تقلّصه مع اضطراب قليل»، والديمومة بما أنَّه «ليس لها مركز ويمكن أن تُشغّل في مجموعة واسعة من التشكيلات»[26]. وهذا ما ولّد ظاهرتين متعاضدتين: عبر الوطنيّة Transnationalism ومجتمع الاتّصالات والمعلومات ICS، فعبر الوطنيّة لا تشمل البضائع والأخبار والأفراد فقط بل الحركات السياسيّة والاجتماعيّة التي أعادت التموقع في المجتمع الشبكيّ ووسّعت مجالها الاتّصاليّ وعبرت كلّ الحواجز الجغرافيّة والسياسيّة والثقافيّة. أمّا مجتمع الاتّصالات والمعلومات، فتجسّده الإنترنت خير تجسيد في قدرتها على الفوريّة والتدفّق السريع والتكلفة والنفاذ، و«هذا بسبب تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات المتاحة التي يمكن للمجتمع الشبكيّ نفسه أن ينشرها كلّيّاً متعالياً على الحدود التاريخيّة للشبكات كأشكال للتنظيم والتفاعل الاجتماعيّين»[27].

ولكن كيف نفهم الجدل القائم بين الحركات الجهاديّة المعاصرة وما يوفّره المجتمع الشبكيّ من خيارات اتّصاليّة وتكنولوجيّة؟ لقد أتاح المجتمع الشبكيّ للمجموعات والمجتمعات المسلمة في دول المنشأ أو الشتات تبادل جملة من القيم والمعاني الدينيّة في تجاوز متعسّف للسياقات الثقافيّة والتاريخيّة والاجتماعيّة، أو بمعنى آخر فإنَّ الحدود الوطنيّة بوصفها علامة مرجعيّة للانتماء والتموقع قد أصبحت في منظور التنظيمات الجهاديّة المعاصرة عائقاً سياسيّاً ووهماً أيديولوجيّاً يحول دون حلم الأمّة المتخيّلة، فالحركات الأصوليّة «لا تدمّر مبدأ الدولة الوطنيّة فحسب بل الوطنيّة في حدّ ذاتها»، وتتبنّى «شكلاً من أشكال القوميّة التي تتحدّى هيمنة الأشكال الغربيّة من القوميّة» مستثمرة إسهام «التحوّل المتّصل بالعولمة ووسائط الإعلام والاتّصالات والنقل والهجرة في أشكال جديدة من الهويّة تتجاوز الحواجز الوطنيّة والعرقيّة والإثنيّة والاجتماعيّة-الاقتصاديّة»[28]. وبهذا فالتنظيمات الجهاديّة بتحوّلها من المحلّيّة إلى العالميّة انتقلت إلى حركات عبر وطنيّة منزوعة من سياقاتها ومتحرّرة من كلّ علاماتها المرجعيّة، فهي تتوحّد في حلم الأمّة المتخيّلة واستعادة

25. Castells, Informationalism, p 3.

26. Ibid, p-p 5-6.

27. Ibid, p 6.

28. Vertigans, p 69.

النقاء الثقافيّ السلفيّ معاً لتنبتّ عن محاضنها الحقيقيّة، أي خلق الأخوّة الدينيّة المشتركة التي تمثّل أساس الأيديولوجيا الجهاديّة التي توحّد الشتات المسلم من البوسنة إلى الصومال مروراً بالعراق وكشمير[29].

أمّا ما يمنح هذه الأمّة الافتراضيّة حقيقتها الأيديولوجيّة، فهو مجتمع الاتّصال والمعلومات الذي وفّر بيئة تقنية مجهّزة وقادرة على تعميم الخبر والمعرفة وتسويق الأيديولوجيّات، لأنَّ «تشكيل الهويّة في بيئة اتّصال عالميّة يتأثّر بدرجة كبيرة بالوسائط الإعلاميّة التي تبني تصوّراتنا اليوميّة»[30]. فتكنولوجيا المعلومات هي روح المجتمع الشبكيّ وعامل التمكين الأهمّ للفاعلين الاجتماعيّين ذلّلت لهم كلّ المعوّقات بإنشاء بيئة افتراضيّة متكاملة مجهّزة بشتّى أنواع الوسائط والتقنيات، ممَّا أتاح للتنظيمات الجهاديّة أن تجد في الإنترنت ملاذاً آمناً وبديلاً عن الرقابة والقمع وعن افتقارها إلى مؤسّسات وهياكل تنظيميّة في أرض الواقع، وليس أدلّ على ذلك من تنظيم القاعدة والشبكات الجهاديّة المرتبطة به تنظيميّاً أو أيديولوجيّاً في الدعاية والتجنيد وتحصيل الدعم الماليّ وكسب المتعاطفين وإثارة ضجّة افتراضيّة وواقعيّة. «ومع أجهزة الكمبيوتر المحمولة وأقراص الفيديو الرقميّة في مخابئ سرّيّة وفي مقاهي إنترنت الحيّ يعمل الجهاديّون الشباب بكتابتهم المشفّرة على تعويض التدريب الميدانيّ والاتّصال والتخطيط والوعظ المرافق وما خبروه في أفغانستان بمناطق جديدة لا حصر لها على شبكة الإنترنت»[31]. وتكشف الإحصائيّات التقريبيّة تنامي الطلب الجهاديّ على الإنترنت وتحديداً الواب المظلم Dark Web الذي مثّل ملاذاً سيبرانيّاً منفلتاً من الرقابة يتيح التخفّي، فقد تطوّرت المواقع الإرهابيّة من 12 موقعاً في 1997 إلى 4350 موقعاً في 2005 وصولاً إلى أكثر من 6000 موقع عام 2008، وأغلبها جهاديّ إسلاميّ[32].

### 1- 2- تحوّلات الجهاديّة المعاصرة: الخطاب والممارسة

تكاد أغلب الدراسات التي انهمّت بكرونولوجيا جماعات العنف الأصوليّ الدينيّ تجمع على اعتبار مرحلة السبعينيّات الحاضنة التاريخيّة لتشكّلها في حركات منظّمة فكريّاً وتنظيميّة. لكنَّ هذه الفورة الدينيّة كانت تقدّمتها أدبيّات إسلاميّة راديكاليّة تعود إلى بواكير القرن العشرين انشغلت بمفهوم الأمّة التي تكابد الهوان وترنو إلى الانعتاق من ربقة العبوديّة للغرب المسيحيّ، كما هو ماثل في كتابات الأفغانيّ ورشيد

29. Ibid, p 78.

30. Tubella, Television, p 388.

31. Archetti, Understanding Terrorism, p-p 39-40.

32. Seib, Philip and Janbek, Dana, Global Terrorism and New Media: the Post-Al Qaeda Generation, Routledge, U.S.A- Canada, 2011, p 45.

رضا وتُسمّى «ما قبل الأصوليّة»[33]. وهي أدبيّات تنطلق من فكرة الأمّة الجامعة أو الأمّة الكونيّة التي توحّدها قواسم عقديّة تتخطّى المحلّيّات الضيّقة لتصبح كيانات عبر وطنيّة قائمة على مبدأ فكّ التوطين الذي يسمح لها بالانتشار العالميّ وتعزيز قاعدة الجمهور الدينيّ. وفي صلب حركات الإسلام السياسيّ الآسيويّ نشأت أيديولوجيا جهاديّة أكثر نزوعاً إلى العنف جسّدها واحد من أكثر العلامات المرجعيّة في خطاب التكفير والتطرّف وهو أبو الأعلى المودوديّ[34]. لكنّ الخطاب الدينيّ وهو يسوّق لفكرة الأمّة المتخيّلة كان مدفوعاً إلى خوض مواجهات ضدّ الأنظمة المجتمعيّة المحلّيّة والوطنيّة بالقدر الذي يقارع الآخر الثقافيّ الغربيّ بما عزّز إيقاع الخطاب الراديكاليّ كما هو الحال عند المودوديّ وسيّد قطب اللذين أدانا «النمط الغربيّ العلمانيّ والفهم المادّي للمجتمع»[35] بتفعيل مفهوم الجاهليّة الأولى وإعادة استدعائه من مقامه النصّيّ القرآنيّ وإنتاجه من جديد في سياقات حديثة مشبَعة بالسياسيّ والثقافيّ ليعبّر عن عالم بلا ضوابط، وهو يستوعب بالتوسّع المجتمع الغربيّ.

لكنَّ ثقافة الجهاد أعمق من هذا وأرسخ، فهي تسكن الوجدان الجمعيّ لجموع المسلمين الذين ينشدّون إلى فكرة العصر الذهبيّ، حيث تشكّلت سرديّات الفتوحات والبطولات ونشأت أدبيّات دينيّة تراكمت في مسارات هذه الثقافة الإسلاميّة وحوّلت الجهاد إلى أيقونة حضاريّة ومشغل فكريّ يسكن الإسلامين العالم والشعبيّ. ولهذا التأسيس الأصوليّ البنيويّ مغانمه الروحيّة والعمليّة التي ضمنت لمفهوم الجهاد ديمومته ووهجه في الضمائر والعقول خاصّة عندما وقع استنطاقه في الطور الحديث وإعادة تنزيله وإنتاجه في السياقات المستجدّة، وكأنَّها عمليّة تحويل أيديولوجيّ تزاوج فيها الرصيدُ الثقافيّ والتاريخيّ والاحتياجات السياسيّة المعاصرة معاً. فالجهاديّة المعاصرة تزجّ بالنصوص والرموز في معترك العنف السياسيّ المعاصر لتنقلب فلسفتها إلى ضرب من «التفاعل بين الماضي والحاضر الذي يساعد على توفير شرعيّة القوميّة الدينيّة اليوم»، وكأنَّها «نتيجة للتطوّرات الأخيرة في المجتمعات والعلاقات الدوليّة وعمليّات العولمة، ولكنَّها نتيجة العمليّات طويلة الأمد التي يمكن أن تُعزى إلى الأبطال والتضحيات ونقاء العصر الذهبيّ والصفات الأثيلة عن الأمّة»[36]. لذا فالأيديولوجيا الجهاديّة المعاصرة جماع تأويليّة مركّبة من ذخيرة تراثيّة منغرزة في الذاكرة ومن احتياجات وإكراهات سياسيّة وثقافيّة راهنة.

33. Vertigans, p 70.

34. Mandaville, Peter, the New Transnationalism, Globalising Islamic Movements, the New Cambridge History of Islam, C.U.P, U.K, 2011, V 6, p 205.

35. Campo, Juane, Encyclopedia of Islam, p 422.

36. Vertigans, p 83.

لقد تضافرت سياقات محلّيّة وعالميّة في انبعاث تنظيمات جهاديّة عنيفة مسلّحة، أمَّا السياقات المحلّيّة، فموصولة بعاملين متآلفين هما: إخفاقات مشاريع الدولة الوطنيّة، والاحتضان السياسيّ لحركات الإسلاميّة العنيفة. وكأنَّما «بناء الهويّة الإسلاميّة الحديثة يتجلّى على أنَّه نتيجة لردّة فعل على تحديث لا يمكن الوصول إليه(رأسماليّاً أو اشتراكيّاً) وانهيار المشروع الوطنيّ لما بعد الاستعمار»[37]. وقد دلّت جملة من الأحداث في الثلث الأخير من القرن العشرين على نجاح الأصوليّات الإسلاميّة بدرجات متفاوتة في استثمار هذه الإخفاقات، كالثورة على حكم الشاه بهلويّ في إيران في 1979 والحرب الأهليّة في لبنان وأحداث الجزائر في التسعينات وغيرها من العلامات التاريخيّة، بما عزّز حضور الجماعات الراديكاليّة اللاموطَّنة وخطاباتها العنفيّة القائمة على التكفير. فالجهاديّون الذين خبروا الأنظمة الوطنيّة وعاينوا فشلها الذريع في تحقيق الرفاهيّة وبناء أوطان قويّة ومستقلّة نزعوا إلى العنف السياسيّ المسلّح للانقضاض على هذه الأنظمة بحجّة التحديث المستورد والولاء للغرب وتعليق العمل بالشريعة، فهم «لا يرون أنفسهم مكوّنات لنظام يستحقّ الحفاظ عليه، ولكن بوصفهم غرباء يسعون إلى إحداث تغييرات جوهريّة في النظام القائم»[38].

لقد فسح إخفاق مشاريع الدولة الوطنيّة المجال لظهور أنظمة سياسيّة ذات خلفيّات أصوليّة تحالفت فيها نخب مدنيّة وإثنيّة واجتماعيّة في إدارة الشأن العامّ مستندة إلى مفاهيم المقدّس وإنفاذ الشريعة وغيرها من المفاهيم التي مثّلت عدّتها الأيديولوجيّة، ففي إيران برزت إلى الواجهة نخبة دينيّة متنفّذة يتزعّمها مرشد الثورة الإسلاميّة بوصفه حائزاً على الولاية العامّة على المؤمنين الشيعة، فهو مصدر الشرعيّة والمؤتمَن على الأمّة في الاعتقادات والممارسات، فكان أن ظهر مفهوم «تصدير الثورة»[39] الذي تجسّد في نشأة حزب الله الشيعيّ في لبنان ودعمه لإضعاف حركة أمل ذات البعد الوطنيّ، وشاع خطاب جهاديّ راديكاليّ معادٍ للأنظمة الوطنيّة والقوى الدوليّة النافذة وقائم على تجييش المسلمين وتحشيدهم للمواجهة المسلّحة خاصّة في خطابات الخمينيّ الذي «بشّر بأنَّه يجب على الجميع المشاركة في الصراع العالميّ بين قوى الإسلام وتلك المادّيّة الفاسدة ليس في الغرب فقط بل في العالم العربيّ أيضاً»[40]. هذا النظام السياسيّ الناشئ سيكون حاضناً لخطاب دينيّ عنيف يستأنف نعرات الماضي الطائفيّة في سياق إقليميّ وعالميّ له فاعلوه وتوتّراته وترافق مع سياسة داخليّة تقوم على تطهير المجتمع وتنقيته من شوائب المدنيّة الكافرة ومراقبة كلّ الخطابات العموميّة[41] واستثمار أجهزة الدولة في تعميم خطاب أصوليّ شيعيّ.

37. Ibid, p 20.

38. Bruce, Hoffman, Inside Terrorism, Columbia PU, New York, U.S.A, 2006, p 89.

39. Kepel, Gilles, Jihad, Gallimard, Paris, 2003, p211.

40. Rubin, Barry, Chronologies of Modern Terrorism, M.E. Sharpe, New York-London, 2008, p-p 238-239.

41. Castells, Manuel, the Power of Identity, p 18.

أمّا في الأفق السنّي، فقد مثّلت بعض الأنظمة الحاكمة حاضنة لإنتاج الفكر التكفيريّ والجهاديّ مستفيدة من الرخاء الاقتصاديّ بسبب الثروة النفطيّة، فنشأ تيّار دينيّ أصوليّ يتبنّى عقيدة الولاء والبراء منطلقاً من قراءة أرثوذكسيّة متشدّدة جسّدها التيّار الوهّابيّ الذي أشاع خطاب التكفير في ضرب من التواصل مع أدبيّات ابن تيميّة وابن قيّم الجوزيّة ومحمّد بن عبد الوهّاب القائمة على فكرة الإسلام الأصيل والنقيّ. لهذا أسهم «انتصار البترودولار»[42] في إعادة إدماج الخطاب الجهاديّ في رهانات سياسيّة واقتصاديّة ستكون لها آثارها العميقة في كثير من المجتمعات الإسلاميّة بشكّل عمّق منسوب خطاب العنف الذي تحوّل إلى نزعة تسم الفكر الدينيّ برمّته. ولعلّ سيرة عبد الله عزّام الأب الروحيّ للجهاد العالميّ المعاصر تعكس أهمّيّة الاحتضان السياسيّ الإقليميّ والدوليّ عندما أنشأ مكتب «خدمات المجاهدين» في بيشاور للتجنيد والتدريب وتلقّى دعماً ماليّاً وسياسيّاً من أنظمة عربيّة ومرجعيّات دينيّة بارزة لمحاربة السوفيات. وفي فترة «الثمانينيّات عندما كان الغرب يدعم المقاتلين الجهاديّين في أفغانستان طاف أوروبا وأمريكا سعياً إلى جلب المجنّدين والدعم الماليّ وزار خمسين مدينة أمريكيّة وألقى فيها محاضرات»[43]. وهو الاحتضان السياسيّ نفسه الذي يتكرّر في حالة الجهاد السوريّ الذي تتلقّى تنظيماته الراديكاليّة المسلّحة دعماً ماليّاً وعسكريّاً وإعلاميّاً من دول إقليميّة على غرار تنظيم «جبهة النصرة» في علاقته بقطر ودول الجوار، فهذه التنظيمات «تتمتّع بمصادر مستدامة وموثوقة من الدعم من مصادر خارجيّة، وقد لعبت قطر على وجه الخصوص دوراً رئيسيّاً في دعم هذه الجماعات في اثني عشر شهراً من الصراع في حين كان لتركيا والأردن تأثير بحدودهما مع سوريا»[44].

إلّا أنَّ اللحظة المفصليّة في كرونولوجيا الجهاد المعاصر اتّصلت بالحدث الأفغانيّ، وهو في حقيقته سياق عالميّ موصول بالحرب الباردة والصراع الأمريكيّ السوفياتيّ، رغم الغلالة الدينيّة المقدّسة التي أُسبغت عليه. فالتجربة الأفغانيّة التي كانت مدعومة من قوى سياسيّة وماليّة ودينيّة نقلت الجهاد من طوره المحلّي إلى طوره العالميّ بأن اجتذبت قوافل متنوّعة من الجهاديّين في المجال والثقافة والعرق واللغة وكسرت الحواجز الجغرافيّة والسياسيّة لتتحوّل إلى حركة جهاديّة عبر وطنيّة لتصير «ساحة المعركة الأفغانيّة حاضنة دينيّة واجتماعيّة للإسلام الراديكاليّ العالميّ حيث أنشأت اتّصالات بين مجموعة واسعة متنوّعة من متطرّفي الحركة الإسلاميّة المناهضة للحكومات وحركات المقاومة ودمجتهم معاً»[45]. إلّا أنَّ خسارة السوفيات وانسحابهم من أفغانستان قد خلّف فراغاً أيديولوجيّاً وعمليّاً لهذه الجماعات الجهاديّة

42.Kepel, p-p 117-118.

43. Aaron, David, Words, Voices of Jihad, Brand Corporation, U.S.A, 2008, p 67.

44. Lister, Charles, the Syrian Jihad, Oxford University, New York-Oxford, 2015, p 4.

45. Cook, David, Understanding Terrorism, p 128.

التي ستعمل على الانخراط في بيئات قتاليّة مشابهة في الغاية الجهاديّة ومختلفة في الحيثيّات والملابسات كالبوسنة والهرسك في يوغسلافيا السابقة والشيشان في روسيا الاتّحاديّة والصومال في القرن الأفريقيّ، فقد «استخدم المحاربون الأفغان القدامى وغيرهم من الجهاديّين هذه المسارح الجديدة للبقاء في أعمال الجهاد والبقاء على اتّصال ببعضهم بعضاً، فضلاً عن توطيد شبكاتهم الجديدة وأعدادها وتوسيعها»[46]. وقد أظهرت مناطق إسلاميّة كثيرة الآثار العميقة لحصاد الجهاد الأفغاني مثل الشيشان والبوسنة والجزائر باستهداف أنظمة محلّيّة أو قوى عالميّة جسّدها «ظهور جيوب وشبكات جهاديّة عبر وطنيّة» تعزّزت بعد حرب الخليج الثانية، إذ «بحلول نهاية التسعينات كانت القوافل الجهاديّة عالميّة النطاق تسير بأقصى سرعتها»[47]. وكلّما انفتح مسرح قتاليّ جديد من القوقاز إلى أفغانستان ومن السودان إلى الصومال تجدّدت الدماء الجهاديّة وتقاطرت قوافل المجنّدين من الشباب المسلم الذين أغرتهم أيديولوجيا الجهاد وتشبّعوا بالأدبيّات الجديدة وتشرّبوا سرديّات التجربة الأفغانيّة التي أحيت وهج الذاكرة وضخّمت حلم الأمّة المتخيّلة والنصر الموعود، فقد «وُلد جيل جديد عبر وطنيّ من المحاربين الشبّان وحصل هؤلاء على طعم الحرّيّة والانتصار العسكريّ واجتمع الرجال المسلمون من مختلف الخلفيّات الوطنيّة والاجتماعيّة في ساحة المعركة وسفك الدماء في الدفاع عن المجتمع»، و«قاموا ببناء روابط دائمة ومدعومة»[48].

إنَّ البيئة التي احتضنت الجهاديّة المعاصرة عمليّة مركّبة ومتشابكة تتقاطع فيها بواعث ومحفّزات تجمع المحلّيّ والعالميّ ويندمج فيها الاجتماعيّ والسياسيّ والتقنيّ على صعيد واحد، غير أنَّ الانزياح الأبرز هو الانتقال من المرحلة الوطنيّة إلى المرحلة عبر الوطنيّة بفشل الحركات الجهاديّة المحلّيّة في مصر والجزائر وسورية وإندونيسيا في إسقاط الأنظمة «الكافرة» مثل ما فعل النموذج الإيراني بالشاه بما أثار سؤالاً إشكاليّاً: «هل هذه مجرّد دورة جديدة من النشاط الجهاديّ أم إنّها تشير إلى تمزّق تامّ في الأنماط التاريخيّة؟»[49]. أغلب الدارسين لكرونولوجيا الجهاديّة الإسلاميّة يشيرون إلى عوامل ثلاثة هي: انسحاب القوّات الروسيّة من أفغانستان وتفكّك الاتّحاد السوفياتيّ لاحقاً، ثمّ حرب الخليج في 1991 وتمركز القوّات الأمريكيّة الدائم هناك، ثمّ هزيمة الجهاديّين الوطنيّين في تغيير المشهد السياسيّ في أوطانهم. وهذا أفرز الدورة الجهاديّة الجديدة في الأيديولوجيا والقيادة عندما «انفصل الجهاديّون عبر الوطنيّين عن نظرائهم من الوطنيّين الدينيّين مؤكّدين أنَّ أنجع الوسائل لخلق نظام إسلاميّ وهزيمة العدوّ القريب يكون بالهجوم

46. Gerges, p 59.

47. Ibid.

48. Gerges, p 62.

49. Ibid, p 16.

على الولايات المتّحدة القوّة العظمى الراعية»[50]. لذا كانت اعتداءات سبتمبر 2001 ثمّ الغزو الأمريكيّ لأفغانستان والعراق انتهاء بمسارح الصراع الجديدة في سورية.

لقد تسارع النشاط الجهاديّ منذ أواخر التسعينيّات مفرزاً جهاديّة جديدة في الزعامات والأيديولوجيا والخطاب معاً، فالزعامات الجديدة مثل ابن لادن والظواهري وأمير حطّاب وأبي مصعب الزرقاويّ وأبي حفص المصريّ وأبي محمّد المقدسيّ ومحمّد الجولانيّ وأبي بكر البغداديّ نسيج متداخل يجمع الأجيال الثلاثة التي أفرزتها محاضن القاعدة والتنظيمات المماثلة في منهج التفكير والعمل، وهم ذوو مكانات اجتماعيّة مرموقة كرجل الأعمال والطبيب الجرّاح والعقيد بالجيش والمهندس والمختصّ في التقنيات، لكنَّهم أيضاً «من ذوي المعرفة والمثقّفين والمهرة الذين يتوفّرون على صفات تواصليّة وتكنولوجيّة وإداريّة وتنظيميّة ضروريّة لاستمرار نضالهم الدوليّ»[51]. أمَّا في مستوى الأيديولوجيا، فقد تضخّمت النزعة السياسيّة المصحوبة بمنظورات استراتيجيّة بعيدة المدى، ولم تعد الأدبيّات الجهاديّة التقليديّة تستوفي الاحتياجات العالميّة الجديدة التي تحتاج تأويليّة مغايرة وأكثر تطرّفاً «ترضي النشطاء الشباب الجوعى إلى فكرة الراديكاليّة»، بما يعني تجاوز «التفسيرات الكلاسيكيّة للشريعة الإسلاميّة بالسماح لهم بالذهاب مباشرة إلى النصوص المقدّسة دون وساطة أو تدخّل السلطة الدينيّة»[52]. وهذا ولّد خطاباً جهاديّاً إلكترونيّاً فارق الأنماط التقليديّة في التواصل الدينيّ وخلق بضاعة جهاديّة تتناغم والسوق الاتّصاليّة والتكنولوجيّة الناشئة وتلبّي احتياجات الجمهور الدينيّ من ذوي الميولات النفسيّة والاستعدادات المعرفيّة والخلفيّات الثقافيّة والانتماءات المجاليّة المخصوصة.

## 2ـ الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ

ما من شكّ في أنَّ الاتّصال في جوهره حدث تقنيّ مشبع بالسياسيّ والثقافيّ اللذين يدمجانه في سياق مجتمعيّ ويشدّانه إلى رهانات أيديولوجيّة لشبكة من الفاعلين الاجتماعيّين، فالاتّصال بيئة تفاعليّة ومظروف بمقاماته، توجّهه استراتيجيّات وتتصارع فيه ومن أجله قوى ماديّة ورمزيّة وخاصّة في البنية الاتّصاليّة المعاصرة، حيث تضخّمت الإمكانات والخيارات وتقاطعت الموارد والذخائر وتشابكت مواضع الإنتاج والاستهلاك وتهاوت قيود الرقابة. في هذا السياق انبثق خطاب من أشدّ الخطابات المعاصرة تعقيداً وتسارعاً في البيئة العالميّة، وهو الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ بوصفه وجهاً من وجوه الدين الافتراضيّ الذي اقتحم

50. Ibid, p 31.

51. Vertigans, p 44.

52. Gerges, p 8.

شبكة الإنترنت منذ السبعينيّات وتعاظم حضوره، فقد تزايد المستخدمون الدينيّون للإنترنت بشكل متزايد وتنوّعت أنشطتهم من تنزيل الموادّ أو متابعة الأنشطة الطقسيّة إلى الانخراط في المنتديات والطوائف أو عمليّات التعبئة والاستقطاب. وفي حالة الجهاديّة الإسلاميّة المعاصرة وخطابها الإلكترونيّ تتراءى العمليّة الاتّصاليّة حاسمة في تعزيز حضورها وتعميمه واستنشاء قاعدة عالميّة من الناشطين والمتعاطفين وخلق شبكات متراصّة ومرنة تثبت أنَّ «الاتّصال ليس مهمّاً لأنَّ الإرهابيين قد ينشرون أيديولوجيّتهم عبر الإنترنت فحسب، بل لأنَّ الاتّصال هو عامل تمكين للتفاعل الاجتماعيّ»، يكشف «كيف تتشكّل الهويّات، وكيف يأتي الناس لتبادل قضيّة سياسيّة والاحتشاد حولها، وكيف يمكن للعمل السياسيّ أن يتحوّل إلى العنف أيضاً»[53].

رغم أنَّ البيئات الافتراضيّة الإسلاميّة متنوّعة في اهتماماتها ومضامينها ومتباينة في خلفيّاتها المذهبيّة والسياسيّة، فقد نجحت في ترحيل هموم الواقع إلى المجال السيبرانيّ وافتكاك سلطة إلكترونيّة في السوق الاتّصاليّة الطارئة من قبل المؤسّسات الرسميّة والشخصيّات النافذة والناشطين السياسيّين والطوائف المذهبيّة منذ تسعينيّات القرن الماضي، أي طور «الاستراتيجيّات والناشطين الرسميّين»[54]. إلّا أنَّ الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ كان الأكثر في السحر الرقميّ والإبهار التقنيّ والأعمق في الدعاية وأدلجة الجمهور، لأنَّه كان الأقدر على استدعاء الذخيرة التراثيّة ودمجها في أنظمة سيميائيّة متنوّعة ومندمجة ووسائطيّة فائقة في السرعة والفوريّة ضمن استراتيجيّات خطابيّة مدروسة وقائمة على الإبهار والتحشيد والمغالطة للنهوض برهانات تجمع الثقافيّ والأيديولوجيّ والسياسيّ. في هذه الأرضيّة النظريّة يمكن تفهّم الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ من السياقات الحاضنة إلى شبكة الفاعلين وتفكيك نظامة السيميائيّ من النصّ إلى المادّة الفيلميّة وبنيته الاتّصاليّة من المنصّات الإلكترونيّة إلى كيفيّات التفاعل بما يمكّن من استنطاق الظاهرة الإسلاميّة المعاصرة بتنزيلها في الاقتصاد المعولم والسوق الدينيّة التي «تسلّع الدين» Religious Commodification في تكامل مع الفاعلين الجهاديّين الذين يأخذون نصيباً من السوق وثقافة الاستهلاك أي يتملّكون الشرعيّة والسلطة والمعنى.

### 2- 1- في خصائص الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ

لقد تحوّل الخطاب منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى موضوع عابر للاختصاصات تتقاطعه مباحث شتّى، وهو على صلة وشيجة بمباحث محوريّة في علوم الإنسان والاجتماع وتحليل الخطاب، وهذا يجعل الخطاب واحداً من المفاهيم التي تتّسم بتنوّع المنظورات الإجرائيّة والمناويل النظريّة ومجالات

53. Archetti, p 33.

54. El-Nawawy and Khamis, p 65.

الاشتغال. لكنَّ الجميع يقرّ بأنَّ الخطاب إنجاز تواصليّ مقنّن مظروف بمقام ومحكوم بفاعلين ومرفود بمؤسّسة تضبط المنخرطين فيه وطرائق إجراء التواصل وتداول الدلالة بين جمهور الخطاب في سياق مخصوص. لذا فالخطاب ليس مجرَّد تواصل عفويّ، بل هو حدث اجتماعيّ تواضعيّ يمتلك تاريخاً متجذّراً في المجتمع والثقافة، ومحروساً بمراسم صارمة تخصّ فحواه وحقله ونمطه وتجعله أداءً عالي المأسسة موصولاً بالبنى الاجتماعيّة وعلاقات السلطة التي تتجلّى في أنظمة الخطاب واستراتيجيّاته، بما هي مناويل عاكسة للاعتقادات والقيم والمعارف والحسّ المشترك. فكان على الخطاب الدينيّ الإلكترونيّ أن يندمج في السوق المعولَمة مستفيداً من خيارات التواصل الجديدة في الفضاءات الإلكترونيّة وما تتيحه النظم العلاميّة الرقميّة كتابة وصورة وصوتاً من إمكانات في صناعة المعنى والسلطة معاً وتوسيع حدود الجمهور الدينيّ، لأنَّ هذه التقنيات توفّر «إمكانيّة أنَّ تعابير إسلاميّة جدّ محلّيّة تستطيع أن تجد بسهولة كبيرة طريقها في الفضاءات المعولمة لتكون مستهلكة من طرف المسلمين في مواقع بعيدة ومتفاوتة»[55].

والخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ لا يقطع مع الأدبيّات الجهاديّة التقليديّة التي خبرها الجمهور والنخبة معاً، بل على العكس من ذلك يعيد إنتاج هذا التراث على مساره المتعرّج والسحيق من أبواب الجهاد في المدوّنات الفقهيّة القديمة إلى كتابات المنظّرين الاستراتيجيّين للإسلام السياسيّ الحديث، ولكن في تصميم إلكترونيّ يدمج هذه المادّة النصّيّة التقليديّة في نسيج سيميائيّ تتعدّد وسائطه التعبيريّة وأنظمته العلاميّة. وهذا روح الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ بوصفه خطاباً متعدّد الوسائط قائماً على حشد مندمج من الوسائط يجمع النصّي والبصريّ والسمعيّ في وحدة تفاعليّة، لأنَّ هذه الوسائطيّة المتعدّدة «تناصّيّة آليّاً وعلى نطاق واسع عبر الوسائط المتنوّعة مثل الكتب والأفلام والألعاب والفنّ البصريّ والمصنوعات التجاريّة»[56]. وهذا مكمن أوّل خاصّيّة في الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ وهي **التهجين** بوصفها نتاج عالمين: الجهاديّين والأنترنت أو الأصوليّة وتكنولوجيا المعلومات والاتّصال[57]، بما يجعل هذا الخطاب موضوعاً لتحليل الخطاب متعدّد الوسائط وفهم الموارد العلاميّة والحاضنة الثقافيّة والاجتماعيّة التي تنتجه وتستهلكه في آن واحد، لأنَّ «السلطة منخرطة في صناعة انسجام النصّ وإدراكه وإسناده»[58].

لقد سمحت خاصيّة التهجين للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ بالجمع بين موارد إعلاميّة متنوّعة تستهوي جمهوراً مترامي الأطراف متباين المعرفة والثقافة ومختلف المحاضن الاجتماعيّة بالقدر الذي

55. Mandaville, Peter, p 217.

56. Lemke, Jay, Multimedia and Discourse Analysis, in, the Routledge Handbook of Discourse Analysis, Routledge, New York, 2012.p 84.

57. El-Nawawy and Khamis, p 71.

58. Kress, Gunther, Multimodal Discourse Analysis, in, the Routledge Handbook of Discourse Analysis, p 36.

يمكّنه من تقليص المعوّقات التي تحول دون إبلاغ رسالته الجهاديّة كاللغة أو المعرفة بالرموز أو الدراية بالنصوص، فتكاملت المادّة المكتوبة مع الملفّات الصوتيّة والصور والمقاطع الفيلميّة في تدويل المضمون الجهاديّ وعولمة أيديولوجيا العنف الدينيّ. وهذا خلق ضرباً جديداً من الخطاب متنوّعاً في وسائطه ويستثمر كلّ أشكال صناعة المعنى وتسويقه كالصورة والصوت والأيقونات والمكتوب وما يتعلّق بها من توزيع وإضاءة وتنضيد وتشابك تخلق تفاعلا عالي الأثر والجاذبيّة سمّاه غ. كريس Gunther Kress الوسائطيّة المتعدّدة Multimodality، لأنَّ «الكتابة والصورة واللون تزوّد نفسها بأن تنجز أنواعاً مختلفة من العمل السيميائيّ»[59]. ويكاد يكون هذا التهجين خاصّيّة مشتركة بين كلّ المواقع الجهاديّة على غرار موقع الجماعة السلفيّة للدعوة والجهاد GSPC [salafia.balder.com] أو صوت الرافدين [www.soutweb.ne1./net]، أو موقع الحسبة [www.al-hesbah.org/v/].

أمَّا الخاصّيّة الثانية للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ، فهي **التفاعليّة** التي تدمج حشداً من أنظمة تجمع متغيّرات وسائطيّة Medium Variables هي أساس الخطاب الموسّط حاسوبيّاً تجعله متعدّد الوسائط. فهو يسخّر المكتوب بكلّ أبنيته اللسانيّة من تركيبيّ وبلاغيّ وحجاجيّ ومعجميّ في تعالق عضويّ مع الصورة والألوان والخطوط والأيقونات والرموز، والملفّات الصوتيّة كالترتيلات والأناشيد والأدعية والخطب، والمواد الفيلميّة كالعمليّات الاستشهاديّة والتدريبيّة. وكلّها قائمة على جملة من البنى البصريّة التي تتفاعل في ما بينها خالقة تصميماً تفاعليّاً بين مكوّناته في مستوى أوّل، ومع الجمهور الإلكترونيّ على تنوّع مواقعه في مستوى ثانٍ. فالتفاعليّة تخلق تشاركيّة نفسيّة وأيديولوجيّة لدى الجمهور الجهاديّ، وبإمكان هذه التشاركيّة أن تتحوّل إلى ضرب من الراديكاليّة الذاتيّة عندما يتبنّى المتابع الإلكترونيّ هذه الرسائل وما تحمله من توجيه أيديولوجيّ، فالصور التي تسرد مظالم المسلمين في أماكن التوتّر السياسيّ في العراق وكشمير تنتقل فوريّاً وبسرعة وبقدرة نفاذ كبيرة، ولكن منزوعة السياق ومعدومة الملابسات ومجهولة الحيثيّات بالنسبة إلى المستهلكين، فالصور المنقولة من ساحات المواجهة يمكنها «أن تساعد على خلق شعور بالانتماء إلى جماعة تكون حياتهم متباينة ومتميّزة. التجمّع هنا لتشكيل قصّة تسمح للمستهلكين باستيعاب أنفسهم واستيعاب الآخرين في سرديّة موجودة سلفاً أو نامية»[60].

غير أنَّ تفاعليّة الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ تمسّ مستوى أعمق من التشاركيّة تخصّ بنية الإنترنت الجهاديّة نفسها، فأيّة رسالة جهاديّة راديكاليّة يقع تعميمها في منصّات إلكترونيّة جمّة ويُعاد توزيعها في أوقات لاحقة حسب المناسبات التاريخيّة والاحتياجات الحينيّة، لأنَّ «العديد من المواقع مترابطة بمعنى أنَّها

59. Kress, Gunther, Multimodality, Routledge, London-New York, U.S.A, 2010, p 1.

60. Egerton, p 67.

كثيراً ما تعيد توزيع الموادّ نفسها وتعميمها. وهذا يؤكّد أنَّه رغم وجود عدد ضخم من المواقع فإنَّ الموادّ التي تظهر على هذه المواقع كلّ يوم ليست بالضرورة كبيرة جدّاً»[61]. هذه التفاعليّة القائمة على تبادل الموادّ الجهاديّة وتعميمها تمكّن من تضخيم الرسالة الراديكاليّة واحتواء أكبر حشد من الجمهور والمتابعين وتحقيق الدعاية الأيديولوجيّة في أقصى صورها، شأن تصريحات ابن لادن والظواهريّ أو المقاطع الفيلميّة عن عمليات الذبح الجماعيّ أو الحرق التي بثّها تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين أو تنظيم داعش. وتسهم مواقع جهاديّة مخصوصة تُسمّى المواقع الموزّعة في تعزيز هذه التفاعليّة الاتّصاليّة والرقميّة و«الحفاظ على البنية التحتيّة الجهاديّة على الإنترنت من خلال توزيع الموادّ على المواقع الجهاديّة والربط بينها» فضلاً عن «توفير روابط جهاديّة موثوقة»[62]. ومن المواقع التي تختصّ بهذه الوظيفة التوزيعيّة الاتّصاليّة موقع أنصار الجهاد [www.ansar-jehad.com]، وهو من أكثر المواقع شعبيّة، وهو «مكرّس لنشر المعلومات عن الجهاديّين لتنوير الناس بالقضيّة الجهاديّة عموماً»[63].

وتسمح هذه الميزة التفاعليّة بتخطّي كلّ المعوّقات وتحقيق عبوريّة سلسة وفعّالة وعقد صلات افتراضيّة بين القيادات الجهاديّة من جهة والمجنّدين والأنصار بوصفهم قاعدة الانتشار الأيديولوجي ومكوّنات حقيقيّة لترسيخ هذه الثقافة في المجتمع الإسلاميّ المتخيّل، فانتشار «الأدبيّات والعقائد المتطرّفة في حدود رقميّة جديدة أعاد تشكيل الفضاءات الاجتماعيّة وحدود التفاعل التي تربط بين الاستراتيجيّين الإرهابيّين بالتزامن مع المجنّدين والمتعاطفين المحتملين معهم»[64]. وكثيراً ما تصبح هذه التفاعليّة بينيّة تجمع حشوداً من مستهلكي المادّة الجهاديّة الذين يتشاركون هذه الأيديولوجيا ويتبادلونها عبر أنظمة إلكترونيّة تمكّن من تحقيق الانتشار ومن توحيد التفكير المتماثل ومن تعزيز الشبكات الافتراضيّة والحقيقيّة، وخاصّة خدمات الجيل الثاني من برمجيّات الإنترنت وتُسمّى «الواب 2.0»، حيث «يمكن أن يتشارك المستخدمون بيسر ما يستهلكونه: أدوات ومشاريع وتعزيز التعاون والمشاركة مثل مشاريع ويكي WIKI وبوّابات تشارك الملفّات والمدوّنات الصوتيّة والفضاءات الشخصيّة ومواقع الشبكات الاجتماعيّة»[65]. وتمثّل المدوّنات Blogs والمنتديات Forums والوسائط الاجتماعيّة Social Media منصّات إلكترونيّة حاسمة للخطاب الجهاديّ، لأنَّها تسمح بمشاركة المواد ونشرها والتعليق عليها وتعزيز شبكات المنخرطين الفعليّة والذهنيّة والنفسيّة دون

61. Hanna, Rogam, Jihadism Online, 2006, p 8.

62. Ibid, p 22.

63. Ibid, p 23.

64. Ranstorp, p 45.

65. Awan, Akil, Virtual Jihadist Media, European Journal of Cultural Studies, Vol10, N°3, August 2007, p 395.

مراعاة لأيّة اعتبارات، شأن مدوّنات موقع المجاهدين الناطق باللغة الإنجليزيّة [www.mujahedon.net/forums/] بما يسمح بتداول الخطاب الجهاديّ ضمن قنوات موسّطة حاسوبيّاً وإلكترونيّاً.

أمّا الخاصّيّة الثالثة للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ، فهي **التعدّديّة** Multiplicity التي تشمل مكوّنات البنية الجهاديّة الإلكترونيّة، والفاعلين الافتراضيّين. فالبنية الجهاديّة تشمل مختلف المنصّات الإلكترونيّة كمواقع الواب والمنتديات والمدوّنات والوسائط الاجتماعيّة، وهي تجمع بين سمتين أساسيتين في الإنترنت: السرعة والفوريّة Speed and Immediacy والنطاق والوصول إلى الجمهور Scope and Audience Reach، بما يمكّنها من استيعاب قاعدة من الجماهير الجهاديّة بشتّى ميولاتهم وقدراتهم التقنية ويسمح بتوسيع البنية الإلكترونيّة الجهاديّة إلى أقصى مدى ممكن. فمواقع الواب الرسميّة تخصّ الشخصيّات الدينيّة والتنظيمات الراديكاليّة مثل موقع عمر البكريّ [www.muhajiroon.com] أو موقع منبر التوحيد والجهاد [www.tawhed.ws/]، ويضمّ عدّة سيبرانيّة فعّالة مثل البريد الإلكتروني والاستشارات والمحادثات الصوتيّة والمحادثات النصّيّة والمرئيّة عبر ميسنجر وسكايب[66]. أمّا منتديات الدردشة Chat Forums والمدوّنات، فتتكفّل بتيسير التفاعلات وخلق حميميّة إلكترونيّة ترسّخ ثقافة الجهاد ومبرّراتها بالقدر الذي تجعل إنتاج الخطاب الجهاديّ عمليّة دائمة يسهم فيها المنتجون والمستهلكون معاً بالتعليق والتنزيل والمشاركة وإعادة النشر مثل منتدى الحسبة [www.alhesbah.org][67]. ولعلّ الوسائط الاجتماعيّة أو ما يُسمّى أيضاً خدمات شبكة التواصل الاجتماعيّ الإلكترونيّ بوصفها تنتمي إلى الجيل الثاني من التقنيات الاتّصاليّة الإلكترونيّة قد نقلت المادّة الجهاديّة إلى صميم الحياة الاجتماعيّة وجعلتها مضموناً تفاعليّاً يوميّاً يعيد تشكيل الوعي الجمعيّ ومفهوم الأمّة الافتراضيّة، وتجعل المستخدمين «يخلقون المحتوى ويتبادلون ما قد خلقوه بأنفسهم» من أجل «المشاركة الفعّالة في خلق المحتوى الإلكترونيّ»[68].

أمّا المستوى الثاني من التعدّديّة، فموصول بالفاعلين الافتراضيّين الذين يتنوّعون في الموقع والوظيفة ولكنّهم يتّحدون في تعزيز الخطاب الجهاديّ وتوسيع مدى الشبكات الافتراضيّة والواقعيّة، ويضبط بعض الدارسين خمسة فاعلين؛ وهم الزعامات القياديّة مثل: أيمن الظواهريّ ومحمّد الجولانيّ زعيم جبهة النصرة أو أبو بكر شيكاو زعيم بوكو حرام «الذين ما زالوا يمارسون تأثيراً أيديولوجيّاً هامّاً ويتواصلون عبر ملفّات صوتيّة ومرئيّة»، ثمّ نخبة الفقهاء الذين يوفّرون التبريرات الشّرعيّة للحرب الجهاديّة، ثمّ المفكّرون الاستراتيجيّون الذين يعطون «المشورة الأيديولوجيّة والاستراتيجيّة»، ثمّ التنظيمات المسلّحة

66. Rogam, p-p 17-18.

67. Ibid, p 20.

68. Bayerl, Saskia, Social Media and Its Role, in, Cyber Crime and Cyber Terrorism, Elsevier, U.S.A, 2014, p 197.

بمواقعها الرسميّة وغير الرسميّة، وأخيراً الحركة الجهاديّة الشعبيّة المتجذّرة من النشطاء والمتعاطفين الذين «يستخدمون العديد من منتديات الإنترنت لإبقاء أنفسهم على اطّلاع دائم على الوضع الجهاديّ»[69]. وهذه التعدّديّة متنوّعة في مصادرها ومستوياتها وموادّها وتكفل للشبكة الجهاديّة العالميّة، وبالضرورة للخطاب الإلكترونيّ، أن يستثمرا كلّ إمكانات البنية الاتّصاليّة وأن يقحما أكثر ما يمكن من الأعوان في ترابطات ذهنيّة وعمليّة، فهؤلاء «المساهمون الجهاديّون السلفيّون المتنوّعون من كلّ أنحاء العالم يتشاركون في عصف ذهنيّ عالميّ لتحقيق التأثيرات المرغوبة من خلال إجراءات مختلفة»[70].

### 2- 2- الأنظمة السيميائيّة للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ

يمتلك كلّ خطاب أنظمته الداخليّة المتمايزة والمتعالقة في الآن نفسه، فهي حصيلة تفاوض مجتمعيّ وتراكمات تاريخيّة تحوّلت إلى مؤسّسة معلومة الطرائق والموارد والغايات، وتملك رهانات سلطويّة واجتماعيّة. وتعرّف أنظمة الخطاب بأنّها «جملة الوسائل الخطابيّة والمعرفيّة لإعادة إنتاج السلطة الاجتماعيّة في المجتمع». وبما أنَّ الاتّصال عامّة والاتّصال الإلكترونيّ تحديداً حشود من أنظمة علاميّة متضافرة، فهذا يجعل «كلّ صناعة للمعنى وسائطيّة متعدّدة»[71] تؤالف بين أنظمة إعلاميّة متنوّعة من موارد سيميائيّة مختلفة ومن سياقات ثقافيّة وتاريخيّة متباينة لجمهور الخطاب. ولكنَّ العدّة السيميائيّة SemioticToolkit التي تبني الخطاب وتشكّل تصميمه ليست محايدة أو مفرغة من المعنى والإحالة، فهي اختيارات خطابيّة على صلة وثيقة بالمعلومة أو المعنى أو بشكل أعمّ المعرفة بوصفها حسّاً مشتركاً ووجهاً لسلطة المجتمع وترتيبات الفاعلين الاجتماعيّين فيه. و«أن تصنع علامة يعني أن تصنع معرفة، فالمعرفة تُشكّل في الاستعمال من قبل عون اجتماعيّ ومن قدرات تمثيليّة متمايزة لوسائط محدّدة في مرحلة صناعة العلامة»[72]، وكأنَّما الأنظمة السيميائيّة اختيارات نصّيّة واجتماعيّة تتنزّل في كون ثقافيّ له هويّته وحدوده وموصولة بنظام معرفيّ مضبوط المفاهيم والتمثّلات والمعلومات ومحكومة بأيديولوجيا السلطة التي تنتج وتراقب وتصون، كما هو الحال في الأنظمة السيميائيّة للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ.

إذا كان الخطاب الجهاديّ الإسلاميّ يملك تاريخاً من الممارسات الممأسسة ونظاماً من المراسم العرفيّة صانته المؤسّسة الدينيّة على امتداد أطوار ومجالات، فإنَّ البيئة الاتّصاليّة المعاصرة أجبرته على إعادة إنتاج نفسه ضمن اشتراطات جديدة فرضتها البيئة السيبرانيّة بوصفها كلّاً تقنيّاً متشعّباً يتجمّع في

69. Rogam, p 15.

70. Ranstorp, p 40.

71. Lemke, Multimedia, p 82.

72. Kress, Multimodal, p 45.

الخطاب الموسّط حاسوبيّاً Computer-Mediated Discourse. فالخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ يضمّ شبكة من الأنظمة السيميائيّة مثل النصّيّ والسمعيّ والمرئيّ والأيقونيّ والتشكيليّ في صلب الوسائطيّة الحاسوبيّة المتنوّعة والمندمجة في آن واحد، وهو ما يسمّيه ك. غانثر K. Gunther «ثراء الأشكال» وخاصّة الأشكال العابرة للثقافات[73]، كالصور والمواد الفيلميّة والألوان والرموز التي تبطل كلّ معوّقات التواصل والتفاعل الناجمة عن المجال أو اللغة أو العرق. لهذا كان الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ حاسماً في جاذبيّته وفاعلاً في مردوديّته الأيديولوجيّة وماهراً في حافزيّته النفسيّة على جموع المؤمنين من المسلمين الذين وجدوا في السوق الجهاديّة الإلكترونيّة ما يلبّي انتظاراتهم وملَكاتهم واستعداداتهم، لأنَّ «الكتابة تسمّي، والصورة تظهر، بينما اللون يؤطّر ويسلّط الضوء. كلّ منها إلى أقصى تأثير وغاية»[74].

كان بناء الأمّة الإسلاميّة المتخيّلة أكثر الرهانات إلحاحاً في الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ، لكنَّ هذه الأمّة الافتراضيّة لا تنشأ دون أساسات سابقة وقبليّة، بما أنَّها «توسعة للأمّة الواقعيّة» و«قيمها مستمدّة من هؤلاء المنخرطين في هذه الأمّة الافتراضيّة»[75]. وهذا ما يعلّل كثافة النصّيّ في الأنظمة السيميائيّة التي تشكّل الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ بوصفه عماد الخطاب الدينيّ التقليديّ ونتاج مسارات تاريخيّة من التأسيس والتعزيز والتحوير، غير أنَّ **النظام النصّيّ** في البيئة الإلكترونيّة يتّخذ تصميماً جديداً تستوجبه الأدوات السيبرانيّة على غرار المادّة النصّيّة لموقع منبر التوحيد والجهاد [www.ilmway.com] التي وُزّعت على لائحة أقسام فرعيّة عبر روابط داخليّة وفي جزء مفصول عن المرئيّ والسمعيّ وفق عناوين أساسيّة (منهاج السنّة/ عيون الكلم) تحوي عناوين ثانويّة (عقيدة أهل الجنّة/ أشبال التوحيد/ كلمات سُطّرت بالدماء/ الجهاد والشهادة/ الواقع المعاصر). وهو تصميم يختلف عن الأنواع الأخرى من المواقع الدينيّة المخصوصة بالإفتاء أو الدعوة أو النشاط السياسيّ، فقسم الكتب والأبحاث، وإن كان ما يزال يحتفظ بعناوين تقليديّة كالحديث النبويّ أو التجريح والتعديل أو تفسير القرآن، فهو أكثر نزوعاً إلى المشاغل المعاصرة السياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة، ولكن بانتقائيّة موجّهة في تخيّر المرجعيّات الدينيّة المعروفة بإسهاماتها المحوريّة في الأدبيّات الجهاديّة لدى جمهور المسلمين وتحظى بمكانة اعتباريّة هامّة مثل ابن تيمية وسيّد قطب وأبي بصير الطرطوسيّ وعمر عبد الرحمن وأبي بكر ناجي وأبي محمّد المقدسيّ وعبد الله عزّام وأبي يحيى الليبيّ. وهذه المرجعيّات تنتمي إلى سياقات تاريخيّة وجغرافيّة وتنظيميّة متنوّعة تكفل شيوع أيديولوجيا الموقع وتوجّهاته. إلى ذلك فالمادّة النصّيّة قد وسّعت اهتماماتها وانفتحت على أشكال تعبيريّة مثل

73. Ibid, p 13.

74. Kress, p 1.

75. El-Nawawy and Khamis, p 55.

الشعر فأوردت قصائد ومقتطفات لشعراء معروفين كأبي تمّام وحسّان بن ثابت وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد مطر، في انزياح مقصود ومختار يخدم غاياتها الأيديولوجيّة ويستميل قاعدة أوسع من الجمهور.

أمَّا لغة النظام النصّيّ الجهاديّ، فتمزج عناصر من الخطاب الدينيّ التقليديّ كالآيات والأحاديث والصيغ البلاغيّة التراثية مع خطاب إعلاميّ معاصر أقرب إلى الفصحى الرسميّة المتداولة في الأوساط الفكريّة على غرار بيانات موقع منبر التوحيد والجهاد في نعي المجاهدين أو في الردّ على بعض ما يرد في الصحف من أخبار أو تحليلات أو تصريحات كبيان تفنيد كذب صحيفة الشروق الجزائريّة [www.ilmway.com/site/maqdis/MS_37420.html]. وهذا يعود إلى خاصّيّة التهجين في الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ بسبب الجمع بين مرجعيّتين تقليديّة ومعاصرة متناقضتين في السياق والمنوال والأنظمة اللسانيّة. وبما أنَّ الدعاية حدث اتّصاليّ يهدف إلى الإقناع والحجاج المضادّ وإذاعة المضمون على نطاق واسع باستهداف جمهور متنوّع، فالنصوص الجهاديّة المعاصرة صيغت وفق استراتيجيا اتّصاليّة محكمة تراعي الدقّة والوضوح والإيجاز، مثل بيانات القاعدة التي تتضمّن إحالات قرآنيّة موجزة وموجّهة واقتباسات من عيون الأدبيّات الجهاديّة عند ابن تيميّة ومحمّد بن عبد الوهّاب، ولكن وفق تمشيّات بلاغيّة معاصرة، إذ «أصبحت بيانات القاعدة بعد 11سبتمبر/ أيلول أقلّ رسميّة في اللغة وأكثر معاصرة»[76].

غير أنَّ الاتّصال الموسّط حاسوبيّاً يقوم على تفاعلات إلكترونيّة تستدمج كلّ الحواسّ بشكل ترتيبيّ متناسق بين السمع والبصر واللمس، ممَّا يجعل النصيّ نظاماً سيميائيّاً محدوداً إذا قورن بالأنظمة الأخرى، لأنَّ «الوسائط اللغويّة في الكلام والكتابة ـ مثل كلّ الوسائط ـ أدوات جزئيّة لصناعة تقوّي الاهتمام بدور الوسائط الأخرى في صناعة المعنى»[77]. يتكامل **النظام الصوتيّ** في الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ وبقيّة الأنظمة ويندمج فيها، خاصّة في ظلّ الإمكانات التقنيّة المتعلّقة بالتسجيل والتنزيل ومشغّلات الوسائط Media Players التي سمحت بتنويع المادّة الصوتيّة في هذه المواقع الإلكترونيّة لتشمل جملة من الملفّات كالتلاوات القرآنيّة، والمحاضرات والخطب المنسوبة إلى شخصيّات دينيّة تحمل الأيديولوجيا الجهاديّة[78]. لكنَّ النظام الصوتيّ لا يشتغل منفرداً بشكل مستقلّ في هذه المواقع، بل يرافق مادّة بصريّة مرئيّة في الغالب كالمقاطع الفيلميّة التي بثّتها المواقع المحسوبة على تنظيم القاعدة في أقسامها الفرعيّة (أشبال القاعدة) و«تظهر الأطفال الصغار الذين يتحرّكون ببنادق مع أغنيّة وطنيّة يقع تشغيلها في الخلفيّة»[79]. فأصوات

76. Rabasa, Angel and All, Beyond Al-Qaeda, Part One: The Global Jihadist Movements, Brand Corporation, U.S.A, 2006, p 16.

77. Kress, Multimodal, p 46.

78. Seib and Janbek, p 50.

79. Ibid, 62.

التكبير والتهليل التي ترافق مقاطع فيلميّة كثيرة هي جزء من بناء المعنى حاملة للدلالة ومتضافرة مع الموادّ السيميائيّة الأخرى في تشكيل الرسالة الجهاديّة، بما أنَّ الصوت حاضن لشحنات نفسيّة وعاطفيّة هائلة. وتحسن المواقع الجهاديّة تخيّر المادّة الصوتيّة التي توسّع في مجال الرسالة وتكسب الخطاب الإلكترونيّ نجاعة قصوى كالاستعانة بالصوت الأنثويّ في موقع كتيبة مجاهدات [www.jehadakmatloob.com]، وهذا يستثير العنصر الذكوريّ ويخلق جدّة في الخطاب، لأنَّ «استخدام صوت الأنثى هو بديل من الأصوات الذكوريّة التي اعتادتها النسوة»[80].

تسهم الصورة والمقاطع السينمائيّة بوصفهما عماد **النظام المرئيّ** في تعميق الدلالة الجهاديّة ونشرها على نطاق واسع يتخطّى حواجز اللغة والسياق ويلغي الخلفيّات الاجتماعيّة والخصوصيّات السياسيّة ملغياً الواقع وخالقاً شعوراً افتراضيّاً بالانتماء إلى عالم تلك الصور المنتقاة بعناية وتوجيه أيّ منها إلى متخيّل سياسيّ أيديولوجيّ، مثل الصور التي تسرد مظالم المسلمين ومآسيهم في ميانمار أو العراق أو فلسطين أو الصومال، بما يسهم في توحيد شتات المسلمين في سرديّة موحّدة وأمّة افتراضيّة، فالصورة «قادرة على أداء نوع غريب من تمزيق الواقع ولحظات مؤلمة خارجة عن سياقاتها وحزمة من الأحداث والأشياء التي ليس لها أيّ ترابط منطقيّ أو تاريخيّ مع بعضها البعض»[81]. وتتقن المواقع الجهاديّة انتقاء الصور التي تفيض بمعاني التضحية والبطولة وتحوّلها إلى مولّدات للتعاطف والتضامن ومحفّزات للمحاكاة والاحتذاء بين الجمهور المسلم، فتتضخّم المفاعيل النفسيّة والأيديولوجيّة للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ بفضل ما تمنحه الصورة من طاقة دلاليّة للرسالة فضلاً عن قابليّتها للانتشار والمشاركة بين شرائح مختلفة في مناطق متعدّدة ضمن منصّات متشابكة، فالصور «هي كلّ شيء في حرب الوسائط هذه، والإنترنت تنشئ منصّة، حيث من الممكن لهذه الصور أن تُعمّم على الفور في جميع أنحاء العالم. فصور النساء المقاتلات صادمة وخاصّة للنساء المسلمات المحجّبات. وبهذا تكسب التنظيمات انتصاراً من خلال توسيع قاعدتها وجعل الأخبار عالميّة»[82].

مثّل الجهاد العراقيّ بعد الغزو الأمريكيّ وإسقاط نظام صدّام حسين نقلة نوعيّة في تقنية المادّة الفيلميّة التي توثّق لمختلف العمليّات القتاليّة بجودة عالية وحرفيّة بارزة للعيان، ستتواصل مع تنظيم داعش وتجربة الجهاد السوريّ في العشريّة الثانية من هذا القرن. فهذه المادّة الفيلميّة مشحونة بالرسائل الموجَّهة إلى أنواع مختلفة من الجمهور، ولها مغانم شتّى تجنيها الجماعات الجهاديّة كالدعاية والترويج وتحصيل الدعم الماليّ، فهذه «المادّة الفيلميّة تلعب دوراً رئيسيّاً في الدعاية، فهي تظهر قدرة جماعة إرهابيّة على القيام بعمليّات

80. Ibid, p 84.

81. Egerton, p 66.

82. Seib and Janbek, p 87.

ناجحة مثل الهجمات الانتحاريّة كما أنَّها تشكّل دليلاً للمموّلين والرعاة مثبتة أنَّ الأموال التي تبرّعوا بها تُستخدم على سبيل المثال من أجل القضيّة الجهاديّة»[83]. ولهذه المادّة الفيلميّة أثرها النفسيّ والعاطفيّ في جمهور الإنترنت، لأنَّها تكون مدخلاً للزجّ بالمتابعين في البيئة الجهاديّة الإلكترونيّة والسعي إلى الإلمام بمضمونها وكأنّها تعوّض التنشئة الراديكاليّة الحقيقيّة بضرب من التطرُّف الذاتيّ عبر الإنترنت دون الحاجة إلى تنظيم في أرض الواقع، إذ «يتمّ جذب مستخدمي الإنترنت أو المتعاطفين مع الإرهابيّين في البداية إلى البيئة الإرهابيّة من خلال مواقع مشاركة المادّة الفيلميّة مثل يوتيوب You Tube، حيث يتمّ عرض أشرطة الفيديو التي تظهر هجمات إرهابيّة. تشير حسابات يوتيوب إلى العنوان محدّد الموارد الموحّد URL لمنتدى إرهابيّ يمكن للأشخاص النقر عليه للدخول إلى المنتدى ويمكنهم الانضمام إليه عن طريق إرسال بريد إلكترونيّ إلى المشرفين عليه»[84].

ويعكس اهتمام المواقع الجهاديّة بالمادّة الفيلميّة عمق السحر النفسيّ والإبهار البصريّ الجماليّ الذي يخلّفه هذا النظام السيميائيّ المرئيّ في الجمهور المسلم وغير المسلم على حدّ سواء، فبعض الذين ساهموا في تفجيرات مدريد في مارس 2004 كانوا قد اطّلعوا على تسجيلات فيلميّة لزعامات الجهاد العراقيّ فضلاً عن الوثيقة الإلكترونيّة المشهورة «الجهاد العراقيّ: آمال ومخاطر»، والأمر نفسه في تفجيرات لندن في جويلية/ يوليو 2005، فأحد الضالعين في الاعتداء وهو حسين عصمان كان مواكباً للمقاطع الفيلميّة التي تسرد يوميّات المواجهة في العراق[85]. وهذا ما يفسّر تركيز الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ على المقاطع الفيلميّة وحرصه على التوثيق المصوّر لكلّ الأنشطة من قبل أجنحة إعلاميّة جهاديّة مثل المركز الإسلاميّ للإعلام IMC ولواء الجهاد الإعلاميّ IJB وكتيبة الإعلام الإلكترونيّة EMB وخاصّة الجبهة الإعلاميّة الإسلاميّة العالميّةGIMF التابعة لتنظيم القاعدة، التي نشرت أشهر عشرة أفلام عن المواجهات العراقيّة في 2005، وابتكرت أسلوب الكاميرا النزيهة لمتابعة الواقع الجهاديّ[86]. لذا كانت الموادّ الفيلميّة أي النظام المرئيّ السيميائيّ نوعاً من «الاستعاضة عن تأثير العالم الحقيقيّ للاتّصال» بمقاطع فيديو «من ساحة المعركة معدّة على أقراص مضغوطة ومواقع الواب ومنصّات المناقشة» تعرض «آلاف اللقطات عن المجازر الإسلاميّة والمعاناة في البوسنة والشيشان والعراق وأماكن أخرى قاسية في الشكل والمضمون»[87].

83. Halopeau, Bruno, Terrorist use of Internet, in, Cyber Terrorism, p 124.

84. Ibid, p 125.

85. Awan, p 398.

86. Rogam, p 29.

87. Ranstorp, p 48.

إنَّ ما يميّز الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ هو العدّة التقنيّة السيبرانيّة التي خلقت مفهوم ثقافة الشاشة التي صارت تشكّل عالماً سيميائيّاً غنيّاً بالأيقونات والرموز والتشكيلات، بما يجعل الفضاء الافتراضيّ مغرياً ومبهراً بفضل كثافة النماذج العلاميّة Semiotic Models، هذا ما يسمّيه كريس Kress التصميم Design الذي يمنح الموارد السيميائيّة شكلاً ودلالة ويدمج نظاماً تشكيليّاً معقّداً من الألوان والخطوط والرسوم والرموز والإضاءة والكثافة والتبئير في مشهديّة واحدة ومندمجة[88]. فالمواقع الإلكترونيّة للقاعدة تتخيّر طائفة من العلامات الأيقونيّة كالراية السوداء التي تحيل إلى مغازي النبيّ أو الخيول التي تستحضر سرديّات الجهاد القديم أو السيوف ومكانتها الرمزيّة في الضمائر أو حور الجنّة ودلالاتهنّ على الاستشهاد ضمن تشكيلات لونيّة تجمع الأخضر والأحمر والأسود والأبيض وفق توزيعيّة مدروسة. وينهض هذا النظام التشكيليّ من الأيقونات والألوان والتوزيعات بوظيفتين نفسيّة وأيديولوجيّة "لاستحضار المفاهيم السلفيّة الرئيسيّة للجهاد في الإسلام المبكّر"، بما يؤكّد أنَّ "الربط المباشر بين الماضي المقدّس والحاضر هو في صميم العقليّة الجهاديّة السلفيّة"[89]. لذا أصبح للخطاب الجهاديّ في صورته الإلكترونيّة جاذبيّة أيديولوجيّة اخترق بها الحدود عندما جعل من تشكيلاته البصريّة برموزها وأيقوناتها علامة تجاريّة جهاديّة Jihadist Brand تمنحهم هويّة مخصوصة ما دامت "جميع منتجات الوسائط الإعلاميّة الجهاديّة التي تظهر على الإنترنت عُلّمت تجاريّاً بشكل منهجيّ"[90].

غير أنَّ النظام التشكيليّ لا يقتصر على الرموز والأيقونات فحسب، بل يشمل كلّ ما له علاقة بالخطّ واللون وشكل الحروف والرسوم وتوزيع الموادّ بوصفها اختيارات سيميائيّة دالّة وأساسيّة في بناء المعنى[91]. فالمواقع الجهاديّة تعلم الخلفيّات الثقافيّة لجمهورها المسلم وما تزدحم به من المعاني المتّصله بالألوان أو الخطّ على غرار موقع الحقيبة الميسّرة الفايسبوكيّ الجهاديّ ar-ar.facebook.com/HqybtAlmjahd

الذي توسّل بخطّ كوفيّ مذهّب في عنوانه الذي يحتلّ الواجهة الأماميّة للموقع تؤطّره صورة أكبر تبرز عنوانه وتحوي صورتين يمنى لمقاتل ملثّم ويسرى لمقاتل في حالة انتشاء بالنصر. وهو ضرب من التكثيف البصريّ الذي يستعمل براعة التوزيع وجاذبيّة اللون وعراقة الخطّ في أسر المستخدم المتعاطف أو العاديّ والزجّ به في انجذاب نفسيّ عميق. أمَّا العلامة التجاريّة الجهاديّة التي اتّخذها شعاراً له، فهي عبارة عن صورة لراية سوداء كُتبت عليها الشهادتان بلون أبيض وبخلفيّة خضراء ذات عمق ضوئيّ ساطع

88. Kress, Multimodal, p 47.

89. Ranstop, p 34.

90. Archetti, p 146.

91. Kress, Ibid, p-p 40-41.

بما يجعله على صلة بالمقدّس الإسلاميّ وتحديداً بغزوات النبيّ وفكرة الجنّة الموعودة. وهذا يخلق مزيجاً من الإبهار البصريّ والحنينيّة الروحيّة التي تؤازر الرسالة الجهاديّة وتزيدها نفاذاً بفضل الخيارات التقنيّة المتاحة، فقد "دخلت التكنولوجيا بشكل أساسيّ في العمليّات السيميائيّة عبر أنواع من الأدوات التي سهّلت أو دعّمت، وسائل الإنتاج والاستهلاك التي وفّرتها وعبر مداخل مختلفة"[92].

## 3ـ استراتيجيّات الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ ورهاناته

كلّ خطاب هو ممارسة غارقة في الأيديولوجيّ بمعتقداته وممارساته وتنضيداته المجتمعيّة، وهذا يفرض على الخطاب نفسه خصائص في المضامين وطرق المعالجة، إذ توجد إكراهات آليّة على محتوى الخطاب وعلى العلاقات الاجتماعيّة المسنونة والهويّات الاجتماعيّة المشرّعة فيه. وهو عينه ما يتحقّق في الخطاب الدينيّ المعاصر الذي حافظ على انغرازه وتجذّره في معيش المجتمعات المسلمة، لأنَّه استطاع أن يصون حقله التقليديّ المعهود بالقدر الذي وسّع من مجال تدخّله واشتغاله ليشمل موضوعات طارئة ومجالات مستجدّة. فهذا الخطاب لم ينقطع عن أصوله الأثيلة في الاستدلال والمحاججة والاستنباط، لكنَّه أقحم تعديلات أعادت موقعته في معيش تدافعت إشكالاته وتضخّمت اهتماماته بما يجعله خطاباً متشظّياً بين السالف والراهن، وكأنَّما الحاضر لا ينفكّ عن تكرار الماضي. أليس الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ إعادة ترتيب لشبكة المعاني والرموز وإن تباينت طرائق التواصل ومجالات الاهتمام؟ وبما أنَّ الخطاب ممارسة ممأسَسة ومبنيّة بشكل عال، فله منوال في إجراء الإنجاز التواصليّ يراعي عمليّات التبادل وأطرافه، وسياق التواصل وشروط التفاعل، وهو إلى ذلك نشاط قصديّ صادر عن مؤسّسة خطابيّة لها سننها وموقعها في نظام السلطة ولها ارتباطاتها الاجتماعيّة المقنّنة. وهذا يفرض أن تكون للخطاب استراتيجيّات تحكمه وتوجّهه. وتُعرّف الاستراتيجيا بأنَّها من شروط إنتاج الخطاب تفرض بنيته وأنظمته مثلما تفرض طرائق التواصل مع جمهور الخطاب، فالاستراتيجيّات منوال في الإنجاز وترتيبات في التواصل، بما يعني أنَّ العمليّات الخطابيّة بكلّ أنظمتها جزء من الاستراتيجيّات المحكومة بجملة من المواضعات والرهانات التي تنقلب إلى إكراهات فاعلة في توجّهات الخطاب ومقاصده. ولكلّ استراتيجيا أيًّا تكن ثلاثة أهداف: إضفاء المشروعيّة، وضمان المصداقيّة، واستهواء الجمهور.

92. Kress and leeuwen, p 217.

### 3- 1- استراتيجيّات الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ

الخطاب الإلكترونيّ في كلّيّته إنجاز تواصليّ مخصوص ينبني على الاتّصال الموسّط حاسوبيّاً والوسائط الفائقة في السرعة والجودة والفوريّة، وهو ما كان سبباً في تخيّر استراتيجيّاته وتوجيهها ما دام هذا الخطاب حصيلة لقاء بين التكنولوجيا والأيديولوجيا أو الإنترنت والسوق الدينيّة. لهذا كان على الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ أن يتبنّى استراتيجيّات مخصوصة وهو يسوّق لثقافة العنف تشريعاً وتبريراً وتداولاً في فضاء افتراضيّ مفتوح ومنفلت من الرقابة ومرن في بضائعه الدينيّة وطرق تبادلها في مجتمع شبكيّ تتقاطع حشود تفاعلاته وفاعليه. وقد توسّلت الحركات الجهاديّة المعاصرة، وهي تبني خطابها الإلكترونيّ، بثلاث استراتيجيّات متشابكة ومتضافرة: استراتيجيا **التحشيد** وفيها تستدعي كمّاً هائلاً من العتاد السيبرانيّ والوسائط الفائقة وتدمجها في كلّ تقنيّ لتحقيق غاية دعائيّة تتقصّد الإثارة العاطفيّة والفكريّة لجموع المؤمنين، واستراتيجيا **التعميم** المبنيّة على تعويم السوق الافتراضيّة بالموادّ الجهاديّة في شتّى المنصّات الإلكترونيّة بما يكفل لأيديولوجيا الجهاد أن تتحوّل إلى وعي جمعيّ إسلاميّ عبر وطنيّ، واستراتيجيا **الإبهار** بالخطاب عندما تستثمر جاذبيّة التقنية وسحر الأدوات الاتّصاليّة لخلق حالة انجذاب أو صدمة طبقاً لطبيعة جمهورها المتعاطف أو المعارض. إلّا أنَّ الاستراتيجيّات الثلاث منشدّة إلى منطق أيديولوجيّ موحّد هو التمويه والمغالطة ما دام الخطاب في جوهره الوجه الآخر للسلطة.

لقد كان للحركات الاجتماعيّة الجديدة وعي بأهمّيّة البيئة الاتّصاليّة في توسيع وجودها في المسرح السياسيّ واقتطاع نصيب من الجمهور أو الرأي العامّ الذي تتشكّل توجّهاته ونزعاته في إطار عالم اتّصاليّ معقّد، لأنَّ «الاتّصال أمر ضروريّ للطريقة التي يتفاعل بها المواطنون العاديّون مع بعضهم بعضاً ويتبادلون المعلومات والأفكار ويشكّلون مجموعات أو شبكات ويمارسون التعبئة لأغراض سياسيّة»[93]. لذلك كان الرهان الجهاديّ على الاتّصال حاسماً في تحوّله من خيار أقلّيّ في العنف وإقصاء الآخر إلى خطاب شائع وفاعل في العالمين الحقيقيّ والافتراضيّ، فالاتّصال الإلكترونيّ مغر في ذاته ويمنح لمستخدميه خيارات تقنيّة هائلة تفعل فعلها في تعميم الأيديولوجيا الجهاديّة وتيسيرها في سوق المبادلات الدينيّة نظراً «لسهولة الوصول إلى المعلومة وعدم وجود رقابة وإمكانيّة التفاعل بين الأفراد المتماثلين في التفكير وسهولة دمج النصوص والصور والمقاطع الفيلميّة وتنزيلها ونقلها ومشاركتها بين الإنترنت ومنصّات أخرى كالهواتف»[94]. فاستراتيجيا **التحشيد** توليف بين تسخير متعاظم لتقنيات الاتّصال والمعلوماتيّة من جهة، واستدعاء المجال العموميّ بكلّ تلويناته إلى الفضاء الافتراضيّ من جهة أخرى.

93. Archetti, p 3.

94. Archetti, p 40.

أثبت عالم الإنترنت في العشريّتين المنصرمتين أنَّ الجهاديّين يملكون المهارات التقنيّة والخبرات الاتّصاليّة التي مكّنتهم من تسخير كلّ المنصّات دون استثناء للدعاية والتجنيد وجمع التبرّعات وتحشيد المتعاطفين ونشر ثقافة الجهاد العنيف فكراً وتدريباً، من البريد الإلكترونيّ ومشغّلات الوسائط إلى التشفير والقرصنة، ومن النصّ والصورة إلى المقاطع الفيلميّة والتشكيلات البصريّة. وهذا يكشف أهمّ أشكال التحشيد التقنيّ القائم على استدعاء كلّ الوسائط واستثمار كلّ الأنظمة العلاميّة ودمجها في كلّ متناغم وصلب أي التوليف بين الوسائطيّة المتعدّدة والنظم السيميائيّة لخلق ما يُسمّى المبدأ التجميعيّ أو التضعيفيّ Combinatorial or Multiplicational الذي يدمج الثقافة والمجتمع والتقنية والخبرات السيميائيّة في كلٍّ علاميّ عميق وثريّ ومتعدّد الدلالة[95]. لذا وسّع الجهاديّون من الخيارات التقنيّة والاتّصاليّة لتشمل الصورة والصوت والنصّ والرموز والأيقونات في منصّات مختلفة من منتديات المحادثة إلى الوسائط الاجتماعيّة الجديدة كالفيسبوك وتويتر، بما يظهر أنَّ التحشيد التكنولوجيّ خيار استراتيجيّ في تملّك الفضاء الافتراضيّ من أجل تملّك المجال العامّ والسيادة على الجمهور المسلم.

ويتّخذ التحشيد التقنيّ مستويات شتّى كأن تتولّى المواقع الجهاديّة خلق شبكة ارتباط قويّة بينها بإنشاء روابط تشعبيّة Hyperlinks تكفل تداول الرسالة الجهاديّة ودوران المادّة الراديكاليّة على نطاق شبكيّ واسع يأسر المتابع ويزجّ به في عالم جهاديّ لا متناهٍ ولا يمكن الفكاك منه، إذ «يتمّ تحديد قائمة أساسيّة من المواقع على شبكة الإنترنت فيقع الكشف عن مستوى الترابط بين المنظّمات متماثلة التفكير بسرعة، فمؤسّسة البراق الإعلاميّة [alburaq-media.com/] مسؤولة عن الحفاظ على عدد من المواقع الإرهابيّة التي تصل إليها، وبالمثل فشبكة حنين [www.mnbr.info] وهي منتدى متاح للمتطرّفين لمناقشة أفكارهم تتقاسم الروابط مع العديد من الجماعات المتمرّدة»[96]. وقد يتّخذ التحشيد التقنيّ وجهاً آخر في المواقع الجهاديّة يتمثّل في الاستعانة بأنظمة التشفير والتخفّي والتمويه لتجنّب الرقابة في المنتديات والبريد الإلكترونيّ والوسائط الاجتماعيّة وخاصّة الشبكات الافتراضيّة الخاصّة VPN التي تضمن التحايل على المراقبة وضمان السريّة بين الأعضاء وتبادل المادّة الجهاديّة كالرسائل والصور والتعليمات بشكل آمن، وكأنّما التحشيد التقنيّ الجهاديّ انتقل من الشبكات الرسميّة العلنيّة إلى الشبكات السوداء Dark Net التي تضمن السريّة والاستمراريّة[97]. لهذا كانت نجاعة الجهاد الإلكترونيّ موصوله بخيارات البيئة السيبرانيّة المتعدّدة من جهة، وانغماس الجماعات الجهاديّة في تطويع التكنولوجيا لخلق احتشاد شعبيّ من اليسير صناعته في عالم الإنترنت من جهة أخرى.

95. Lemke, p 83.

96. Seib and Janbek, p 45.

97. Halopeau, p 130.

لكنَّ التحشيد التقنيّ ما هو إلّا أدوات لخلق تحشيد في المضامين الجهاديّة، لأنَّه كلّما تعاظمت العدّة السيبرانيّة، تزايد نسق الدعاية وارتفع منسوب المادّة الراديكاليّة في المواقع الإلكترونيّة، فكثير من المواقع منسوب إلى شخصيّات اعتباريّة في المجال الإسلاميّ تتبنّى خطاباً متطرّفاً بما يسهم في «نشر أفكارهم وأيديولوجيّاتهم، وعادة ما يحتوي الموقع على مقالات وكتب كتبها الباحث وإشارات إلى قراءات أخرى موصى بها أيضاً»[98]. ومن الأمثلة على ذلك موقع أبي قتادة الفلسطينيّ [www.altaefa.com]، وهي مواقع غنيّة بالموادّ النصّيّة والسمعيّة والبصريّة ولها قوائم خدمات داخليّة وخارجيّة تنسج لمستخدمها كوناً جهاديّاً متكاملاً من الأفكار والعقائد. ولعلّ أكثر المنصّات الإلكترونيّة إسهاماً في استراتيجيا التحشيد هي المجموعات الإعلاميّة Media Groups التي تتولّى تجميع المادّة الجهاديّة ومعالجتها تقنيّاً بالتطوير والتجويد ثمّ بالنشر والتوزيع على نطاقات واسعة وفي إخراجات متنوّعة تُشعر بضخامة الحدث الجهاديّ في الواقع العمليّ في ضرب من التمويه والمغالطة، فالجبهة الإعلاميّة الإسلاميّة العالميّة التابعة للقاعدة GIMF «تعيد تصميم الموادّ مثل البيانات والمقاطع الفيلميّة للعلماء والجهاديّين والتنظيمات ووسائل الإعلام العربيّة والغربيّة وتعيد توزيعها على مواقعها الإلكترونيّة»[99].

من المؤكّد أنَّ الإنترنت بيئة اتّصاليّة مثلى؛ لما فيها من محفّزات تقنيّة ودعائيّة تشمل السرعة والنفاذ والنطاق ومرونة الاستخدام مكّنت الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ من إعادة التموقع في المجتمع الشبكيّ العالميّ وتدويل أيديولوجيّتها مثل أيّة بضاعة استهلاكيّة، ووفّرت لها أفقاً غير منتظَر للديمومة والتأثير، فالإنترنت «أداة للتطرّف والتجنيد ووسيلة لتوزيع الدعاية ووسائط للاتّصال وأرضيّة للتدريب»[100]. ويعكس تنظيم داعش عمق التحشيد الأيديولوجيّ، فقد تجنّبت إنشاء مواقع خاصّة بها يمكن استهدافها، وسعت إلى تعويم العالم الافتراضيّ برمّته بنشر «الصور والمقاطع الفيلميّة والمجلّات الرقميّة والبثّ الصوتيّ على المنتديات الجهاديّة ومواقع مشاركة الملفّات؛ ممَّا يسمح لأيّ شخص عبر الإنترنت بتحميل المحتوى وإعادة نشره»[101]. واستراتيجيا التحشيد لدى تنظيم داعش ما هي إلّا تطوير للأسس التي أرساها تنظيم القاعدة في إغراق عالم الإنترنت بالمادّة الجهاديّة على نطاق واسع، بما يكثّف أيديولوجيا العنف ويعزّز القاعدة الجماهيريّة على اختلاف مواقعها وعلاقتها بالرسالة الجهاديّة، فدعاية القاعدة «كانت لها التأثيرات المقصودة

98. Rogam, p 17.

99. Ibid, p 29.

100. Archetti, p 45.

101. Gambhir, Harleen, the Virtual Caliphate: ISIS's Information warfare, 2016.

على الجماهير المختلفة: فقد ألهمت الأتباع وغيّرت الرأي العامّ وأثّرت على وسائل الإعلام وغرست الخوف في نفوس أعدائها»[102].

أمَّا ثانية الاستراتيجيّات، فهي **التعميم** الذي ينزع فيه الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ إلى تخطّي العوائق التي تحول دون انتشار الاتّصال التقليديّ كالمكان والزمان واللغة والثقافة والرقابة، فالمواقع الجهاديّة تتخيّر المنصّات الإلكترونيّة الأكثر شعبيّة والأوسع في الانفتاح على مجموعات مسلمة متنوّعة كالمنتديات التي تكفل التفاعل الفوريّ والمحادثات الحرّة والسريّة بين المتعاطفين والنشطاء، فهي «الطريقة الأكثر شيوعاً لتعزيز الإرهاب على شبكة الإنترنت، بما أنَّها توفّر منصّة حيث يتجمّع الناس ذوو التفكير المتماثل»[103]. وقد استدعت استراتيجيا التعميم من الفاعلين الجهاديّين أن يسخّروا الوسائط الإعلاميّة الفائقة Hypermedia التي وفّرتها موجة الواب 2.0، مثل الوسائط الاجتماعيّة وتحديداً تطبيق تويتر بحافزيّته التشغيليّة والجماهيريّة، فتنظيم داعش واحد من أكثر الحركات الجهاديّة براعة في استثمار هذه المنصّة، إذ «قام مؤيّدو داعش على تويتر وحده بنشر 90000 رسالة نيابة عن التنظيم كلّ يوم بحلول فيفري 2015، فأنصار داعش أنتجوا في المتوسّط أكثر من 50 تغريدة يوميّاً»، ويستعملون برمجيّاتها التي «تزوّد المستخدمين بتقارير يوميّة عن أنشطة داعش وتسمح أيضاً لنشطائه بإرسال تغريدة دوريّة من تويتر»، ونشر «أكثر من 40000 تغريدة عندما استولى التنظيم على الموصل في جوان/ يونيو 2014»[104]. وقد تعزّزت استراتيجيا التعميم بجنوح داعش إلى قائمة التطبيقات الجديدة في العالم الإلكترونيّ بما جعله أكثر التنظيمات انتشاراً وتغلغلاً في الأوساط الجهاديّة، فأنشطة «مجتمع داعش على الإنترنت من المؤيّدين سيعزّز أعماله العالميّة على المدى القريب»[105].

تسهم سياسة المواقع الجهاديّة في تعميم الخطاب الإلكترونيّ عبر تصميمه ومعماره الداخليّ ونوعيّة الموادّ الدينيّة المنشورة فيه، وما يوفّره من خيارات تقنيّة تعمل مجتمعة على توسيع نطاق الدعاية الجهاديّة وتحويل الخطاب إلى أيديولوجيا عالميّة وعامّة، فموقع الحسبة [www.alhesbah.org] لديه «أدلّة فرعيّة لمواضيع مختلفة تتراوح من السياسة إلى الحياة العائليّة مروراً بالاقتصاد»، ويقوم «بإعادة توزيع مقالات الشيوخ والمواد الفيلميّة والتسجيلات الصوتيّة الشهيرة»، وله «دليل فرعيّ للبلاغات حيث ينشر متحدّثون باسم الجماعات الجهاديّة معلومات رسميّة» بشكل جعل المنشورات تتخطّى 300000 منشور[106]. وهذا يمكّن

102. Rabasa, p 22.

103. Halopeau, p 124.

104. Gambhir, p 24.

105. Ibid, p 26.

106. Rogam, p-p 20-21.

الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ في موادّه ومجالاته واهتماماته من أن يلبّي انتظارات الجمهور الدينيّ على اختلاف مجالاته واستعداداته، فيكون بإمكانه أن يكتسح شبكة الإنترنت ويحتلّ مقدّمة النتائج في محرّكات البحث الإلكترونيّ. والظاهر أنَّ نجاح استراتيجيا التعميم لا يعود إلى طبيعة المادّة الجهاديّة في حدّ ذاتها، فهي تقليديّة ومنثورة في الأدبيّات التراثيّة، وإنَّما إلى البيئة الاتّصاليّة المرنة والفعّالة التي تهب الخطاب الإلكترونيّ خيارات تقنيّة وتواصليّة توائم طبيعة المجتمع الشبكيّ العالميّ، فللإنترنت «أهمّيّة كبرى للحركة الجهاديّة العالميّة اليوم، لأنَّها تسهّل الانتظام الأيديولوجيّ وبناء الشبكات داخل حركة منتشرة جغرافيّاً وجميع مستويات الشبكة الجهاديّة موجودة على شبكة الإنترنت»[107].

لا يمكن لاستراتيجيا التعميم أن تحقّق ما تصبو إليه الأيديولوجيا الجهاديّة إلّا بتفعيل سرديّات المظالم التي تبني حسّاً جمعيّاً بالهويّة عبر الوطنيّة والأمّة المشتركة، فالصور التي تبثّها المواقع الجهاديّة وقع اجتثاثها من سياقاتها الوطنيّة وأُفرغت من خلفيّاتها الثقافيّة، ثمّ سُوّقت في قنوات إلكترونيّة على أنَّها تجسيد حيّ للمعاناة الجماعيّة في إلغاء مقصود للخصوصيّات البنيويّة بشكل يحوّل كلّ المسلمين إلى ضحيّة موحّدة، لأنَّ «الفتوحات التكنولوجيّة تعني أنَّ الوسائط الفائقة بإمكانها أن تعرض فوريّاً وعلى نطاق عالميّ المفهوم المسلّح للأمّة من أفغانستان إلى أمستردام ومن البوسنة إلى برمنغهام»[108]. إلّا أنَّ استنشاء الأمّة المتخيّلة بتسخير استراتيجيا التعميم يقتضي تجهيز الخطاب الإلكترونيّ بخيارات وتطبيقات تقنيّة تتكفّل بعبور المادّة الجهاديّة دون اعتبار لحاجز اللغة، فشتات المسلمين في دول الغرب أو التجمّعات المسلمة في الدول الآسيويّة والأفريقيّة كان على الدوام خزّان الحركات الجهاديّة، بما يقتضي تذليل الصعوبات وإزاحة الموانع أيّاً تكن ومنها اللغة. لذا كان لأغلب المواقع الجهاديّة تطبيق الترجمة النصّيّة والفوريّة من غوغل أو محرّكات بحث أخرى، فضلاً عن الخيارات النسخ الإلكترونيّة للموقع بلغات عالميّة ومحلّيّة، وهذا يبرز «أنَّ ظهور المواقع الجهاديّة وخاصّة منتديات الدردشة باللغات غير العربيّة مثل الإنجليزيّة والفرنسيّة والهولنديّة والسويديّة يعكس رغبة مجاهدي الشتات في أن يكونوا جزءاً من الجهاديّين أوّلاً، وأهمّيّة الإنترنت في إنشاء هذه المجتمعات ثانيّاً»[109].

أمّا استراتيجيا **الإبهار**، فتتأتّى من طبيعة البيئة الاتّصاليّة ذاتها في مقام أوّل، ومن طبيعة المعروض الجهاديّ في مقام ثانٍ، وكأنّما الأيديولوجيا الراديكاليّة تغنم الآن سحر التكنولوجيا بعد أن غنمت سابقاً سحر الفكرة الدينيّة. فالوسائط الفائقة للاتّصالات الإلكترونيّة في الحواسيب والهواتف الذكيّة منحت الأنترنت سحراً

107. Ibid, p 8.

108. Egerton, p 93.

109. Egerton, p 88

خاصّاً يستولي على الحواسّ والعقول بفضل ما لديها من «الطبيعة الجذّابة والمرنة وغير الخطّيّة وغير المركزيّة» التي «قد أسهمت في تحويل سلطة النصوص الدينيّة المقدّمة من أيدي السلطات الروحيّة إلى الأتباع والمستخدمين»[110]. لذلك تجهّز التنظيمات الجهاديّة مواقعها الإلكترونيّة بكلّ التطبيقات والبرمجيّات التي تنوّع في الخيارات وتوسّعها بما يلبّي ميولات المستخدمين، فهي تسمح لهم «بتنزيل مستويات جودة مختلفة من الملفّ نفسه اعتماداً على سرعة اتّصال المستخدم، ممَّا يجعل الموقع أكثر سهولة في الاستخدام. وللمستخدم خيار بأن يشاهد الموادّ الفيلميّة في ما يُسمّى جودة عالية أو جودة محمولة، ويشير استخدام ملفّات الوسائط المتعدّدة إلى مستوى من التطوّر التقنيّ يقدّم بديلاً ممتعاً للنصّ البسيط»[111]. ويستهدف هذا الإبهار الإلكترونيّ الفئات الشابّة بما أنَّهم يمثّلون النسبة الأكبر من عدد السكّان ومن عدد المقبلين على عالم الإنترنت، لأنَّ لهم «شهيّة لا تشبع إلى أدوات وسائط الإعلام الجديدة» بما يجعل الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ «أدوات لزراعة جيل جديد من شأنه أن يدعم قضيّتها»[112].

رغم أنَّ للخطاب الجهاديّ التقليديّ مقامه المكين في العقول والضمائر إلّا أنَّه ازداد حظوة وجاذبيّة بفضل البيئة السيبرانيّة وخاصّة الإنترنت، بما لها من سمات مائزة تدعم قدرتها على احتضان الأيديولوجيا الجهاديّة والتمكين لها، فهي تتّصف بميزات ستّ وهي: النفاذ والكلفة، والتخفّي وانعدام الرقابة، والسرعة والفوريّة، والنطاق والوصول إلى الجمهور، والاتّصال والتفاعليّة، والبنية متعدّدة الوسائط[113]. لذا تنهض هذه الحزمة من الامتيازات بوظيفة بنيويّة وجوهريّة هي السحر الإلكترونيّ الذي يجمع بين النجاعة العمليّة والاستخدام المرن وجاذبيّة التفاعل، بما أخرج الجهاد الإلكترونيّ من طابعه النخبويّ إلى طابع شعبيّ أكثر تأثيراً وإثارة، بإدماج الوسائط الجديدة كالمنتديات وتويتر والموادّ الفيلميّة مع أبي مصعب السوريّ وتجربة الجهاد العراقيّ[114]. وما تزال هذه الطبيعة الجذّابة للإنترنت تتوسّع في خياراتها وإمكاناتها، ومنها تويتر الذي تتحرّك فيه تنظيمات كثيرة منها تنظيم حركة الشباب الصوماليّ وتنظيم داعش اللذان يستثمران ما تتيحه هذه المنصّة من السرعة والإيجاز وكثافة التفاعل، لأنَّها لا تتطلّب جهداً في النشر (رسالة موجزة) أو المتابعة (تغريدات). و«من المرجّح أن يتحوّل الجهاديّون إلى تويتر من أجل الاستجابة السريعة والتغريد المباشر على الأحداث العنيفة»[115].

---

110. El-Nawawy and Khamis, p 60.

111. Seib and Janbek, p 52.

112. Ibid, p 66.

113. Awan, p 390.

114. Zelin, Aaron, the State of Global Jihad Online, 2013.

115. Ibid, p 16.

### 3- 2- رهانات الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ

بما أنَّ الخطاب الدينيّ مؤسّسة تمتلك ترتيبات متشابكة كالفاعلين والجمهور وحقل الاشتغال وتاريخ الممارسة ومناويل خطابيّة وبنى اجتماعيّة وثقافيّة ساندة ورافدة، فهو ينطوي على رهانات صريحة أو ضمنيّة قد تتعدّد وجوهها ولكنَّها على الدوام موصولة إلى الشرعيّة والسلطة والمعنى حتّى تصون نظام الاعتقادات والممارسات ضمن تصوّر مخصوص للانتظام المجتمعيّ. والخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ ينطلق من هذه الأسس، حتّى وإن كان منضوياً في بيئة اتّصاليّة ومجتمع شبكيّ تبعثرت مؤسّساته التقليديّة وتهاوت حصونه الثقافيّة، ذلك أنَّ له حقل اشتغال وجمهوراً مستهدفاً بالدعاية ومقاصد توجّه خطابه وتفرض أنظمته السيميائيّة واستراتيجيّاته في إجراء هذا الخطاب، لينقلب إلى ضرب من التداول المجتمعيّ يكفل له الدوران والاستهلاك. لكنَّ الميسم العامّ للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ هو الطابع الانتقائيّ والإقصائيّ الذي يجعله في اشتباك دائم مع الواقع وفي سجال فكريّ وعمليّ مع الفاعلين الذين ينافسونه السيادة، فالأصوليّون والجهاديّون وذوو النزعات العنيفة والمتطرّفة «انتقائيّون يمكن أن يعتقدوا بشدّة أنَّهم يتبنّون كلّ الماضي النقيّ ولكنَّ طاقتهم تسعى إلى استخدام هذه الخصائص التي ستدعم هويّتهم بشكل جيّد وتجعل حركتهم موحّدة، تبني دفاعات حول حدودهم وتترك الآخرين على مبعدة»[116]. وهو ما ينزع الغلالة الدينيّة عن التنظيمات الجهاديّة بوصفها حركات اجتماعيّة في حقيقتها ويبطل مزاعم ما تروّجه عن نفسها ما دامت «منخرطة في صراعات سياسيّة وثقافيّة على حدّ سواء أساسها الهويّات الإسلاميّة الراديكاليّة»[117].

للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ رهانان أساسيّان ومتعالقان: رهان أيديولوجيّ أداته الاحتشاد الجماعيّ للجمهور في مشروع سياسيّ مبنيّ على العنف في مواجهة الخصوم الحقيقيّين والمفترضين، ورهان ثقافيّ يستدعي مفهومين أثيلين هما: الأمّة والهويّة. وهذا يحفّز دمج الدينيّ والسياسيّ في الخطاب الجهاديّ المعاصر، فلا يخلو نصّ أو تسجيل أو مادّة فيلميّة من كثافة الاستدلال بالأدبيّات الدينيّة، فتصبح أعمال سياسيّة مثل العنف أو الرفض أو الاحتجاج أو الاحتشاد أو المواجهة أو القتل أو الكراهيّة أو الترويع مؤطّرة وموضوعة في اصطلاحات دينيّة قويّة ذات أثر وشرعيّة في المخيال الإسلاميّ، «فالدين مصدر متواتر في تأطير الحركات الاجتماعيّة، لأنَّه مصدر عواطف جديرة بالثقة، فهو يوفّر رموزاً وطقوساً وتضامنات جاهزة يمكن النفاذ إليها وتخصيصها من قبل قادة الحركة»[118]. أمَّا الرهان الثقافيّ، فيعتور مفهوم الأمّة المتخيّلة بوصفها اصطناعاً ثقافيّا ليس له دعامة تاريخيّة وواقعيّة يستند إليها في ارتباط بمفهوم الهويّة التي

116. Castells, p 14.

117. Vertigans, p 40.

118. Ibid, p 43.

تتعرّض لمخاطر داخليّة وخارجيّة يقود الدفاع عنها إلى تعزيز الإيمان نفسه، ولكنَّ هذه الأمّة التي تشكّل أسّ الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ لا تعدو أن تكون حيلة مفهوميّة مشبعة بالسياسيّ. لهذا «فالأمّة هي من عمل المتخيّل السياسيّ بقدر ما هي تصوّر أسطوريّ تماماً كمفهوم الغرب الذي يُزعم أنَّه عدوّ»[119]. أليست الجهاديّة المعاصرة، كما يسوّق لها خطابها الإلكترونيّ في تنظيراتها وممارساتها وفي مفاهيمها وانتظامها، نتاج التشابك بين السياسيّ والثقافيّ في استنشاء منظور أيديولوجيّ عنيف؟

ينبني الرهان الأيديولوجيّ للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ على حشد من المفاهيم المتضافرة كالتضحية والشهادة والعدوّ القريب والعدوّ البعيد والولاء والبراء والتوحيد، وهي مفاهيم تنضح بالسياسيّ رغم مرجعيّتها الدينيّة يقع تفعيلها في سياقات معاصرة وفي ملابسات لها خصوصيّتها في ضرب من الإسقاط المنهجيّ المتعمّد. وكأنَّما الجهاديّة المعاصرة تستفيد من رصيد تراثيّ رمزيّ يدعم هذا المنحى السياسيّ العنيف، «لأنَّه ببساطة يستشهد بالمصادر الإسلاميّة العربيّة ويشكّل بسبب الفتوحات واحداً من أهمّ البراهين على حقيقة الإسلام»[120]. ويتحوّل مفهوم الجهاد في أغلب الموادّ الإلكترونيّة من فعل رسميّ مقنّن بسلطة شرعيّة ووفق معايير وترتيبات معلومة إلى خيار فرديّ إلزاميّ يمارسه المسلم بشكل ذاتيّ تطوّعيّ بعيداً عن فقه الضوابط الشرعيّة للعمل الجهاديّ، فالجهاد «في عيون المنظّرين الجدد يتوقّف أن يكون معنى جماعيّاً، ويتحوّل إلى رحلة فرديّة ومسار لتحقيق الذات وتطهيرها»[121]. وهو انزياح يحرّر مفهوم الجهاد من قيوده المؤسّسيّة ويفقد النخب الدينيّة والسياسيّة الرسميّة كلّ سلطة شرعيّة على جموع المسلمين ويخلق فوضى العنف السياسيّ التي تؤازر المنظور الراديكاليّ للجهاد الدينيّ وتمنح التنظيمات الأصوليّة المتشدّدة مساحة واسعة للتبرير والتحشيد وبناء أيديولوجيا دمويّة أساسها العنف المقدّس.

لقد أتاح الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ للمنظّرين الجدد أن يحوّروا قواعد اللعبة السياسيّة والدينيّة معاً، فقد استثمروا هشاشة الواقع السياسيّ وأزمات الواقع الاجتماعيّ وحالة البؤس الحضاريّ للمجتمعات المسلمة لهذه النخب الجديدة ليقوّضوا النسق النظريّ القديم للجهاد وينسفوا ما قُنّن فيه من قواعد بحجّة أنَّ المعيش الراهن لا يطابق تلك القواعد، فضلاً عن الضرورة السياسيّة التي تقتضي أن يصير الفعل الجهاديّ حرّاً ومرناً ومتكيّفاً مع الواقع، إذ «يدّعي المنظّرون الجدد أنَّ القواعد والضوابط القديمة لا تنطبق الآن، لأنَّ الأراضي المسلمة محتلّة من قبل المرتدّين المحلّيّين أو سادتهم الأمريكان. وفي ظلّ هذه الظروف يصبح

119. Egerton, p 72.

120. Cook, p 165.

121. Gerges, p 6.

الجهاد إلزاميّاً لجميع المسلمين للدفاع عن دينهم ومقدّساتهم»[122]. وتعكس تصريحات الزعامات الجهاديّة وبياناتها هذا التوجّه الجهاديّ الجديد القائم على المبادرة الفرديّة كثناء بن لادن على تفجيرات الرياض والخُبر في السعوديّة، معتبراً أنَّ الجهاديّين «أزالوا العار عن جبين الأمّة»[123].

وهو نهج تبنّاه الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ الذي امتدح المبادرات الفرديّة في الجهاد الحرّ، وحوّلها إلى فريضة إيمانيّة ملزمة وعلامة على النهج الإسلاميّ القويم، فأبو محمّد المقدسيّ يثني على الجيل الجهاديّ الجديد، لأنَّهم «اختاروا هذه الطريق اقتناعاً وإرادة ومنهجاً»، و«رفضوا واقع الكفر والضلال وواقع الذلّ والقهر واستعباد الأحرار». [www.ilmway.com/site/maqdis/q.html]. لقد وفّر الفضاء الإلكترونيّ مجالاً لظهور منظورات جديدة ونخب تختلف في الاستراتيجيّات والمشاريع السياسيّة ليقع تجاوز الأطر الرسميّة بشكل يكاد يكون كلّيّاً.

وحتّى يتعزّز الرهان الأيديولوجيّ لخطاب الجهاد الإلكترونيّ؛ كان من الضروريّ اصطناع مفهوم يتيح شرعنة العنف ضدّ كلّ الخصوم على تنوّع سياقاتهم المحلّيّة والعالميّة، فنحت الجهاديّون زوجين مفهومين متعالقين: العدوّ القريب والعدوّ البعيد وأوجدوا بينهما ترابطاً سببيّاً ومنطقيّاً يشرّع للعمل الجهاديّ ضدّهما مستفيدين من تنظيرات الإسلام السياسيّ ورموزه التي بقيت تحتفظ بوهج دائم وسحر لا ينقطع، وخاصّة سيّد قطب «في جرأته على تحييد الفقه وتوفير الوصول المباشر إلى النصوص الأصليّة التي استخدموها أسلحة مطلقة ضدّ الأنظمة الفاسدة»[124]. وعندما أعاد الخطاب الجهاديّ تفعيل هذا المفهوم وتداوله في سياقات معاصرة مشحونة بالمواجهات السياسيّة والأزمات الثقافيّة، فعل فعله في الكثير من الأحداث الدمويّة وتلك العمليّات التي نُفّذت في مدريد ولندن وباريس وعمّان وتونس والدار البيضاء. وفي نموذج جماعة هافستاد Hafstad ما يبرهن على المخاطر النفسيّة والاعتقاديّة والاجتماعيّة لأدبيّات الكراهية واستهداف الآخر واستعداء البيئة المجتمعيّة، فهؤلاء المغتربون من الجيل الثاني من المغاربة «الذين نزعوا إلى التشدّد برهنوا على فهم محدود جدّاً للقرآن والأحاديث»، و«الحجج التي يحشدونها غالباً ما تكون مقتطفات مختارة من الشخصيّات الراديكاليّة»، وتلقّوا في الفضاء الافتراضيّ حشوداً من الصور والمواد الفيلميّة والنصوص الاستراتيجيّة التي جعلتهم يعتقدون وجود «حرب مستمرّة ضدّ العالم الإسلاميّ من قبل الغرب»[125]. لذا فما يسوّقه الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ من صور وأفلام وتسجيلات «كان له أهمّيّة قصوى

122. Ibid, p 3.

123. Vertigans, p 77.

124. Gerges, p 7.

125. Vertigans, p-p 96-97.

لمتخيّلهم السياسيّ»، ومنها «التلقين الأيديولوجيّ وتوطيد الروابط بين أعضائها وتعزيزهم عاطفيّاً»[126]، كما هو الحال في تفجيرات لندن ومدريد والظهران في السعوديّة التي استهدفت معاً العدوّ القريب والعدوّ البعيد في النظام المفهوميّ للأيديولوجيا الجهاديّة.

وقد عزّز الخطاب الجهاديّ في إطار رهاناته الأيديولوجيّة على مفهوم الشهادة بانتزاعه من سياقه الدينيّ المحض وإعادة استزراعه في بيئة سياسيّة معاصرة تتّصل بالعمليّات الانتحاريّة مهما تكن وكيف تكن خسائرها، مبرّرين كلّ ذلك تبريراً مستنداً إلى منطق دينيّ، «أوّلاً: الجهاد يتطلّب محاربة الكفّار، وثانياً: الأهداف ليست بريئة، لأنَّ المدنيّين من خلال التصويت ودفع الضرائب يسهمون في دعم الحكومات التي لديها سياسات معادية للإسلام، وثالثاً: لا يوجد في ظلّ الشريعة الإسلاميّة شيء من هذا القبيل اسمه كافر مدنيّ»[127]. ويستفيد الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ من الرصيد الرمزيّ للشهادة وكلّ الأدبيّات التي تحتفي بالشهيد، لكنَّه يقطعها عن محاضنها النصّيّة ويخرج المفهوم من التخصيص إلى التعميم، حتّى تضحي فكرة الشهادة حلماً فرديّاً يشحن الفرد الجهاديّ ويمثّل قوّة حافزة للانخراط في النشاطات الجهاديّة العنيفة، فالشهادة «من أجل الأمّة تصبح جزءاً من الذاكرة المشتركة» ما دامت «في خدمة المجتمع بجعلها جزءاً من نسيج الحرب التي تتمتّع بالشرعيّة الدينيّة وهي الجهاد»[128]. ولا يكاد يخلو موقع جهاديّ من النصوص والخطب التحريضيّة والمقاطع الفيلميّة التي تحتفي بالتضحيّة وتعدّد مكانته الدنيويّة والآخرويّة. وتكشف منصّة يوتيوب عن تزايد الموادّ الفيلميّة الجهاديّة المتعلّقة بالعمليّات الانتحاريّة التي تستهدف الشباب ومنعدمي الثقافة الدينيّة، بما يجعل هذه المادّة «قاعدة لدعم العنف السياسيّ على يوتيوب»[129].

يتّصل الرهان الثقافيّ للخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ بمفهومين متعاضدين: الأمّة والهويّة في ارتباط بسياقات الراهن وما تعجّ به من بؤس وهوان يناقض في الأيديولوجيا الأصوليّة نقاء الماضي وأمجاده، فالجماعات المتطرّفة يحكمها هاجس ثقافيّ هو سياسيّ في جوهره، وأساسه «التطلّعات إلى استعادة النقاء الثقافيّ المفقود» من خلال «التشديد على مكوّنات التاريخ التي يتشاطرها الأفراد والجماعات»، لتعبئة «الدعم المشترك للدفاع عن إرث ثقافيّ وخصائص قوميّة وأراضٍ ترتبط بها»[130]. فالخطاب الجهاديّ عزّز مفهوم الأمّة الجامعة والموحّدة رغم انتفاء المقوّمات الموضوعيّة التي تجعلها كياناً حقيقيّاً وواقعيّاً، لأنَّ هذا

126. Ibid, 87.

127. Aaron, p 105.

128. Vertigans, p-p 81-82.

129. Conway, Maura and McIneney, Lisa, Jigadi Video and Auto-Radicalisation, 2003.

130. Vertigans, Ibid, p 64.

المفهوم يمحو كلّ الاعتبارات الأخرى الوطنيّة والعرقيّة والثقافيّة ويحوّل الجموع المسلمة على امتداد مجالها إلى كلّ افتراضيّ لا وجود له إلّا في المتخيَّل السياسيّ للأصوليّين، بما يسمح لخطابهم بالانتشار والتمدّد، فهذه «الأمّة الجديدة التي تتخطّى الحدود الوطنيّة تتعزّز على أساس المعتقدات بدلاً من الإثنيّة والعرق والأمّة القائمة، وفي مكان الحدود الجغرافيّة القائمة يتمّ الترويج للأمّة الإسلاميّة الأسطوريّة»[131].

وأغلب المواقع الجهاديّة في تنويع اختياراتها اللغويّة وحشد الصور والموادّ الفيلميّة من سياقات مختلفة توهم بتماثلها وتطابق الحيثيّات، لأنّها سرديّات تشترك في الأمّة، أي في المعاناة الراهنة والحلم القادم، وهو الخطاب الذي عزّزه تنظيم القاعدة مستنداً إلى الأدبيّات الراديكاليّة للإسلام السياسيّ الحركيّ ومستفيداً من التجربة الأفغانيّة، إذ «تُعتبر جزءاً من حركة عبر وطنيّة تهدف إلى استخدام مفهوم الأمّة وتوحيد المسلمين في جميع أنحاء العالم في كفاحهم ضدّ الغرب والشركاء المحلّيّين»[132].

وتُظهر تجربة الجهاد الغربيّ خطورة المتخيّل السياسيّ الموصول بمفهوم الأمّة في تحشيد الأقلّيّات المسلمة التي تكابد مشاقّ الاندماج في أكوان ثقافيّة غريبة نسبيّاً عنها، فلا غرابة أن يكون الجمهور المسلم في الغرب أكثر متابعة واهتماماً بالخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ ما دام يعاني الاغتراب الذي يعزله عن بيئته ويزجّ به في أوهام الأصوليّة عن أمّة عبر وطنيّة تقوم بديلاً عن الإقصاء المجتمعيّ. لذلك تعمل الجماعات الجهاديّة على تجاوز حاجز اللغة بالتركيز على الصورة التي لا تحتاج إلى مكتوب يوضّحها ما دامت مشحونة بالمعنى ومنزوعة من سياقها وقادرة على تحريك الانفعالات والعواطف والأفكار. فالخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ يحشد نظامه المرئيّ من صور ومقاطع فيلميّة تعزّز مفهوم الأمّة اللّاموطّنة بفضل صور متناثرة من سياقات إسلاميّة لا يوحّدها غير المخيال السياسيّ، لأنّ «صورة امرأة ميّتة في سيربرينيتشا يمكن أن تصبح جزءاً من نفس سرديّة طفل ميّت في الفلّوجة»، ما دامت «الصور تتيح شكلاً أكثر عاطفيّة للحجّة من أشكال التواصل الأخرى» وتجعل المسلمين «متّحدين بالعواطف بما في ذلك الخوف والإهانة إزاء ما يُزعم من ارتكاب حرب غربيّة مستمرّة ضدّ العالم الإسلاميّ»[133]. لهذا فمفهوم الأمّة حيويّ ثقافيّاً وأيديولوجيّاً لاستمرار التحشيد الجهادي وديمومة خطاب العنف المقدّس في بيئة اتّصاليّة قادرة على التمويه وتمتلك سحراً إلكترونيّاً يورّط المسلمين في أوهام المتخيّل السياسيّ.

لكنَّ مفهوم الأمّة المتخيّلة لا يشتغل منفرداً عن مفهوم آخر أثيل هو الهويّة التي ازداد تداولها في الخطابات السياسيّة المعاصرة وفي الخطابات الدينيّة على وجه الخصوص، فالهويّة ضرب من الحسّ

131. Vertigans, p 79.

132. Ibid, p p 84.

133. Egerton, p 96.

المشترك الذي يتفاعل مع البيئة العالميّة وخاصّة في مجتمع المعلومات والاتّصالات، بما يثبت أنَّ «الهويّة الجمعيّة إجماع مشترك ومشروع رمزيّ ومنافع متقاسَمة، وأنَّ الوسائط الإعلاميّة عموماً والإنترنت على وجه الخصوص عدّة جبّارة لبنائها بطريقة حيويّة»[134]. لهذا يعمد الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ إلى تعزيز المخاوف الجماعيّة من استهداف الهويّة الإسلاميّة بالقدر الذي يؤكّد ضخامة المنافع المتأتّية من صونها والجهاد من أجلها ضدّ الأخطار الداخليّة والخارجيّة معاً، فالنزعة العالميّة في الجهاد اقترنت بتنشيط مفهوم الهويّة الجامعة، ولكن في سياق معاصر يستعير الماضي ويشغّله بإتقان، و«على نحو متزايد في محاولة لإيقاظ المسلمين وتوحيدهم في القتال ضدّ الغرب والحكومات الإسلاميّة الفاسدة»[135]. فالهويّة المشتركة تُفعّل بما لها من آثار نفسيّة وروحيّة وعمليّة في خلق حسّ جهاديّ مشترك تضبط حدود الأنا الجمعيّة والآخر اعتماداً على مركزيّة ثقافيّة تمجّد الذات وتقصي الآخرين وتعتبرهم أعداء وجوديّين، وكأنَّما الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ في كلّ مادّته يسعى إلى «استبدال التأثيرات العسكريّة والسياسيّة والثقافيّة الغربيّة في الأراضي الإسلاميّة بالمبادئ الإسلاميّة على أساس توليفة من الخطاب المعاصر والتاريخيّ والصور والرموز»[136].

## خاتمــة

لقد ساهمت العولمة المعاصرة في خلق مجتمع شبكيّ أفقيّ ذي بنية اتّصاليّة، تضخّمت تقاطعاته وتعاظمت تدفّقاته الماديّة والرمزيّة التي هدمت طائفة من المفاهيم على غرار الحدود المحلّيّة والوطنيّة، والهويّة والأمّة، بما خلق حشوداً من الفاعلين الجدد وأعاد توزيع مسالك السلطة ومواقع إنتاج المعنى، فقد تضاعفت «قدرة الشبكات على إقحام فاعلين جدد ومحتويات جديدة في عمليّة التنظيم الاجتماعيّ مع الاستقلال النسبيّ لمراكز السلطة بمرور الوقت بفضل التغيّر التكنولوجيّ وبصورة أدقّ مع تطوّر تكنولوجيّات الاتّصال»[137]. لهذا ألفت الحركات الجهاديّة نفسها في سياقات سياسيّة وثقافيّة وتكنولوجيّة طارئة مكّنتها من تعزيز أنشطتها وتمتين شبكاتها واستثمار الفتوحات الاتّصاليّة في نشر سرديّاتها الدينيّة واستنشاء شعور جمعيّ إسلاميّ بالانتماء إلى هويّة هلاميّة وقع تركيبها ببراعة أيديولوجيّة.

134. Tubella, p 398.

135. Vertigans, p 50.

136. Vertigans, p 84.

137. Castells, p 5.

لكنَّ انتقال الجهاديّة إلى مرحلة العالميّة لم يكن مجرَّد دورة في العنف السياسيّ، بل كان نتيجة لمسارات محلّيّة وعالميّة متشابكة تَساهَم فيها فاعلون وطنيّون ودوليّون دفعوا بالعامل الدينيّ إلى الانبعاث من جديد والانخراط في توتّرات الهويّة والآخر والمركزيّات الثقافيّة، فنشأت فورة دينيّة متطرّفة تشرّبت إكراهات العولمة واستثمرت تداعياتها ونزعت إلى متخيّل سياسيّ يرى في العنف واجباً مقدّساً يطمح إلى أمّة عالميّة تذوب فيها الفوارق المصطنعة، فقد «ساهم التحوّل المتّصل بالعولمة ووسائط الإعلام والاتّصالات والنقل والهجرة في أشكال جديدة من الهويّة تتجاوز الحواجز الوطنيّة والعرقيّة والإثنيّة والاجتماعيّة-الاقتصاديّة»[138]. وبذلك كان انبثاق الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ نقلة نوعيّة واستراتيجيّة في أيديولوجيا العنف الإسلاميّ المقدّس.

للجهاديّة المعاصرة بنية إلكترونيّة مرنة وفعّالة ومتشابكة تنوّعت منصّاتها من المواقع الفرديّة إلى الوسائط الاجتماعيّة بالقدر الذي تعدّدت أنظمتها السيميائيّة في مركّب يجمع النصّيّ والسمعيّ والمرئيّ والتشكيليّ ضمن استراتيجيّات مخصوصة وناجعة تحشد التقنية والاعتقاد معاً، وتعمّم المادّة الجهاديّة ومضامينها العنيفة، وتبهر بسحرها الإلكترونيّ ومفاهيمها الراسخة في الذاكرة. كلّ هذا يجعل الخطاب الجهاديّ الإلكترونيّ مشدوداً إلى رهانات يتقاطع فيها الأيديولوجيّ والثقافيّ، فالعنف السياسيّ نهج في التفكير والممارسة يحتاج مسوّغات، فيجنّد النصوص، ويستنهض الذاكرة، ويستدعي السرديّات، ويرنو إلى الزجّ بالدينيّ الإسلاميّ في مسرح التوتّرات العالميّة. غير أنَّ هذا يتطلّب توليفة تمزج مفاهيم الأمّة والهويّة بانتظارات الراهن وتقاطعات الفاعلين السياسيّين وطنيّاً وعالميّاً.

إنَّ تعاظم الحركات الجهاديّة العالميّة وانتشارها في شبكات وطنيّة وإقليميّة يتطلّب تفكيك ثقافة العنف بفهم مرتكزاتها النصّيّة والتاريخيّة، وتمثّل محاضنها الاجتماعيّة والثقافيّة الراهنة، فالذهنيّة الجمعيّة المسلمة تستبطن دون وعي عقيدة الولاء والبراء وتتحمّس نفسيّاً وعاطفيّاً إلى خطاب الجهاد، وتتماهى مع سرديّات المظالم المنثورة في المجتمعات الإسلاميّة على اختلاف سياقاتها. إلى ذلك فالنظام المؤسّسيّ الإسلاميّ في مجالات التعليم والثقافة والعائلة والإعلام ما يزال حبيس أدبيّات تقليديّة أصوليّة تمجّد الهويّات المغلقة وتستهدف الآخر المخالف بالإقصاء والإدانة. لذا فالوعي الإسلاميّ المعاصر أمام مواجهات بنيويّة عميقة، ومنها: تحرير الأنا الجمعيّ من مفاعيل المركزيّة الثقافيّة، وتحرير المقدّس من ربقة تأويليّة أرثوذكسيّة تهدر طاقات النصوص وتلغي إكراهات الراهن التاريخيّ، ونقل الفرد من ثقافة الولاء للعصبيّات الطائفيّة والقبليّة والمحلّيّة إلى ثقافة المواطنة والعيش المشترك. ثمَّة إسلام منسيّ يحتاج عملاً أركيولوجيّاً لإزاحة الركامات الأصوليّة لإنطاق النصّ بلغة الراهن وخلق قراءات مناوئة تحرّر الإسلام والسياسة معاً.

138. Vertigans, p 70.

## قائمة المراجع

### الكتب: باللسان الأجنبي

- Aaron, David, **Words**, **Voices of Jihad**, Brand Corporation, U.S.A, 2008.

- Archetti, Cristina, **Understanding Terrorism in the Age of Global Media,** Palgrave Macmillan, New York, U.S.A, 2013.

- Bruce, Hoffman, **Inside Terrorism**, Columbia PU, New York, U.S.A, 2006, p 89.

- Campo, Jaune, **Encyclopedia of Islam,**Infobase Publishing, New York, U.S.A, 2009.

- Castells, Manuel, **the Network Society**, Edward Elgar Publishing, U.SA, 2004.

- Castells, Manuel, **the Power of Identity**, Wiley-Blackwell, U.S.A, 2010.

- Cook, David, **Understanding Jihad,** UCP, London, England, 2005.

- El-Nawawy, Mohammed and Khamis Sahar, **Islam Dot Com**, Palgrave Macmillan, U.S.A, 2009.

- Frazer, Egerton, **Jihad in the West: the Rise of Militant Salafism**, CUP, U.K-U.S.A, 2011.

- Gerges, Fawaz, **the Far Enemy: Why Jihad Went Global**, CUP, U.K-U.S.A, 2008.

- Kepel, Gilles, **Jihad**, Gallimard, Paris, 2003.

- Kress, Gunther and Van Leeuwen, Theo, **Reading Images: the Grammar of Visual Design**, Routledge, New York- London, U.S.A- Canada, 2006.

- Kress, Gunther, **Multimodality**, Routledge, London-New York, U.S.A, 2010.

- Kress, Gunther, **Multimodality: a Social Semiotic Approach to Contemporary Communication**, Routledge, London-New York, U.S.A, 2010.

- Lister, Charles, **the Syrian Jihad**, Oxford University, New York-Oxford, 2015.

- Mandaville, Peter, the New Transnationalism,Globalising Islamic Movements, **the New Cambridge History of Islam**, C.U.P, U.K, 2011.

- Rabasa, Angel and All, **Beyond Al-Qaeda, Part One: The Global Jihadist Movements**, Brand Corporation, U.S.A, 2006.

- Rubin, Barry, **Chronologies of Modern Terrorism**, M.E. Sharpe, New York, 2008.

- Seib, Philip and Janbek, Dana, **Global Terrorism and New Media: the Post-Al Qaeda Generation**, Routledge, U.S.A- Canada, 2011.

- Vertigans, Steven, **Militant Islam**, Routledge, U.S.A-Canada, 2009.

**المقالات: باللسان الأجنبي**

- Awan, Akil, Virtual Jihadist Media, **European Journal of Cultural Studies**, Vol10, N°3, August 2007.

- Bayerl, Saskia, Social Media and Its Role, in, **Cyber Crime and Cyber Terrorism**, Elsevier, U.S.A, 2014.

- Conway, Maura and McIneney, Lisa, Jigadi Video and Auto-Radicalisation,2003. doras.dcu.ie/2253/.

- Dean, Paul and Ritzer, George, *Globalization*, in, **the Wiley-Blackwell Companion to Sociology**, Wiley-Blackwell, U.K-U.S.A, 2012.

- Gambhir, Harleen, *the Virtual Caliphate: ISIS's Information warfare*, 2016. www.understandingwar.org/backgrounder/virtual-caliphate-isiss- information-warfare

- Halopeau, Bruno, *Terrorist use of Internet*, in, **Cyber Crime and Cyber Terrorism.**

- Hanna, Rogam, *Jihadism Online*, 2006. www.FFi/no/Rapporter/ 06-00915PDF.

- Kress, Gunther, Multimodal Discourse Analysis, in, **the Routledge Handbook of Discourse Analysis.**

- Lemke, Jay, Multimedia and Discourse Analysis, in, **the Routledge Handbook of Discourse Analysis**, Routledge, New York, 2012.

- Magnus, Ranstorp, The Virtual Sanctuary of Al-qaeda and Terrorism in The Age of Globalization, in, **International Relations and Security in the Digital Age**, Routledge, New York, 2007.

- Mandaville, Peter, the New Transnationalism,Globalising Islamic Movements, **the New Cambridge History of Islam**, C.U.P, U.K, 2011.-Tubella, Imma, Television, The Internet, and The Construction of Community, in, **the Network Society.**

- Zelin, Aaron, the State of Global Jihad Online, 2013. www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/the-state-of-global-jihad-online.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com


الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

**info@mominoun.com**

**www.mominoun.com**



جميع الحقوق محفوظة © 2018

All rights reserved © 2018